جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الطقوس والشعائر في مزارات الأولياء الصالحين

(سيدي وذريس أنموذجا)

مقاربة أنثروبولوجية

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين :

- بشيري مونيرة
- بليط مونيرة

إشراف الأستاذ:

شيبان سعيد

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء:

- إلى الشمعة التي ذابت بصمت وتركت نورها يضيء حياتي "جدتي" رحمة الله عليها.

- إلى اللذان امن أن قبضتهما على الجمر هي مساهمة من أجل تحقيق حلمي الاتي "أمي وأبي".

- إلى من بارك أول كلماتي "جدي وجدتي " أطال الله عمرهما وأبقاهما خير سند لنا .

- إلى أنامل أصابعي وسندي في الحياة " سهام ،عادل ،سمير ،ندير ".

- إلى عائلتي صغيرهم وكبيرهم كل باسمه .

- إلى فلذات كبدي "نجاة ، هندة ،ليلى " ورفيقتي في عملي هذا "مونيرة".

- إلى كل من مر على ذاكرتي ولم يذكره لساني.

- إلى كل من لم يقل أف ،ولم يتوان في مساعدتي لإتمام هذا العمل إلى أن رأى النور و أخص بذكر نبيل .

- إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

** مونيرة بشيري**

الإهـداء:

- إلهي لا يطيب الليل بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بشكرك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك. الى من بلغ الرسالة وأدى الامانة الى نبي الرحمة والنور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

. إلى من علمني العطاء بدون انتظار الى من أحمل اسمه بكل افتخار وأرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطفها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك أهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد والدي العزيز "عبد الحميد " .

. إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني ،إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنناها بلسم جروحي إلى أغلى الأحباب أمي "حسينية".

. إلى من بهن أكبر وعليهن اعتمدت وإلى الشمعة متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودهن اكتسبت القوة ومحبة لا حدود لها إلى من عرفت معهن معنى الحياة أخواتي "فايزة ،ياسمينة ،صديقة لامية ،حليمة".

. إلى أخي ورفيق دربي وسندي بنظرات الأمل أخي "زايدي".

. إلى البراعم "سلاس ،أمال، أريناس سارة، ياسمين"

. إلى من علمني حب العلم منذ نعومة أظافري وزرع في نفسي حب المثابرة خالي العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه. وإلى أحمد الذي ساندني طوال مشواري هذا.

. إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي، اللواتي تحلو بالإخاء وتميزوا بالعطاء والوفاء إلى من معهن سعدت وبرفقتهن الحلوة سررت "شابحة ،سلوى، صباح، سلمى، صبرينة، زاهية "دون أن أنسى من تقاسمت معي هذا البحث "مونيرة "ورفيقتي طوال مشواري الدراسي.

إليكم جميعا أقدم ثمرة جهدي المتواضعة

مونيرة بليط

الشكر والعرفان:

. الحمد الله الذي أنار درب العلم والمعرفة ووفقانا على انهاء عملنا هذا.

. بكل عرفان نتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى مشرفنا الأستاذ "سعيد شيبان" على توجيه ومتابعته لنا خلال فترة إنجاز بحثنا هذا.

. كما أتقدم بالتقدير الجميل والشكر الجزيل لطاقم قسم الادب العربي.

. الى كل معلم و أستاذ تتلمذت وتربيت على يده إلى أن وصلت إلى ما أنا عليه الأن الامتنان الكبير.

. من أعماق القلوب نتوجه بكلمة الشكر مشفوعة بالامتنان والتقدير إلى كل من تكبد معنا معاناة ومشقة مساعدتنا ونخص بذكر موظفي مكتبة أمالو خاصة عزالدين والعربي ،وشيخ أحداد وشيخ زاوية سيدي وذريس وزاوية سيدي يحي بأمالو دون أن ننسى الرواة أطال الله في عمرهم وتركهم خير حماة لثقافتنا شعبية.

مقدمـة

عند تأمل تراثنا على امتداد مساحته الواسعة، نجد أنه تراث هائلا وثريا تعاقبت عليه السنين وتطاولت عليه الازمنة ،والذي ظل يمدنا بفائض ذخائره .وهذا ما اختص به الأدب الشعبي الذي حاول التعبير عن حقيقة الواقع ،فهو المرآة العاكسة لواقع المجتمع ويومياتهم، وركيزة أساسية تعتمد عليها الأمة لتعبير عن ذاتها بكل حرية ،وهو وجه من وجوه التراث الذي أل إلى الاندثار والتلف ،بحيث وصف مختلف جوانب الحياة وكشف عن أحلام الأمة وأمالها وبؤسها ،وكان بمثابة ظل يصاحبها عبر الزمن في مختلف الأحوال والأماكن باعتباره فرع من فروع الإنسانية فقد شمل عدة فنون شعبية كشفت عن حياة الأجداد ،كالعادات والتقاليد والمعتقدات والسرد القصصي والطقوس والأساطير، التي لعبت دور هاما في المجتمعات والتي لا تزال متمسكة بالأصالة والتاريخ والقيم .فتجلى ذلك من خلال طقوسهم الدينية وممارساتهم الفردية و الجماعية في مناسبات شتى ،والتي تكشف عن الهوية الشعبية التي فقدت قيمتها التاريخية .لكن لا نزال نشم من خلال المشايخ الطاعنين في السن رائحة بعيده تدل على امتداد الأصالة الشعبية من خلال رواياتهم الثقافية، والمعتقدات الأمازيغية العريقة ،التي كانت بحاجة إلى فك رموزها وحل غموضها ، وتبين قيمتها الفنية. وكل هذا وذاك لا يتم إلا بالإجابة على الإشكاليات والتساؤلات التالية ما هو الدور الذي لعبته الزوايا والأولياء الصالحين والسلوكيات الطقسية؟ وما هي الأبعاد النفسية والاجتماعية لهذه الطقوس؟وما الفائدة من احتفاظ المجتمعات على طقوسها ورمزيتها الثقافية؟وقد أدى بنا إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب ومن بينها :

. الغاية العلمية وما تزخر به المخيلة الشعبية من أسرار عجيبة غريبة.وميلنا إلى الأدب الشعبي ،إضافة إلى الإعجاب الشديد بهذا الموضوع الذي له صلة بالدين والعادات والتقاليد ومعتقدات المجتمع التي تركت فينا تساؤلات عديدة.

. الرغبة في معرفة السر الكامن وراء الزيارات المتكررة والطقوس الحركية والقولية الممارسة في أضرحة الأولياء الصالحين.

. الخوف من ضياع الموروث الشعبي ،ومحاولة نفض الغبار ولو على جزء صغير من جوانب هذا الموروث الذي أصبح على حافة الزوال.

ولإتمام هذا البحث سنستعين بالمنهج الأنثروبولوجي كونه الانسب لتحليل موضوعنا باعتباره يركز على المعايشة والدراسة الميدانية ،واعتمدنا في الجمع والتحليل على خطة مكونة من:

مقدمة والتي تطرقنا فيها الى موضوع بحثنا، والإشكالية ،ودوافع اختيار الموضوع ،والعقبات التي واجهتنا أثناء العمل ،والمدخل الذي عرفنا فيه المنهج الذي اعتمدناه ومدى خدمته لبحثنا هذا،مرفقا بفصلين كان أولهما بعنوان الطقوس وعلاقاتها بالأولياء الصالحين، والذي انقسم بدوره الى ثلاثة مباحث الأول بعنوان الزوايا ودورها والثاني بعنوان الأولياء وكرامتهم بين الحقيقة والأسطورة أما الأخير فكان بعنوان الطقوس والشعائر الممارسة في مزارات الأولياء الصالحين عامة وسيدي وذريس خاصة. كما عنونا الفصل الثاني بالدراسة الفنية لبعض الأشعار مصاحبة لطقوس الممارسة في مزارات الأولياء الصالحين،أين حاولنا جمع وتحليل هذه الأشعار حسب الأنواع التي تنتمي إليها من مديح وذكر وقصص ديني. والخاتمة التي توجز أهم النتائج التي توصلنا إليها .وأتبعناه بملحقين لتعريف الولي سيدي وذريس ،وذكر بعض الأشعار المتداولة في الزاوية ،لنختمه بقائمة المصادر والمراجع التي استندنا إليها في تحصيل بحثنا هذا ومن أهمها عاطف وصفي ،حميد بوحبيب، محمد أكلي حديبي ،وجورج الراسي. وقد اعترضتنا مجموعة من العوائق أثناء جمع هذه المدونة ومن بينها:

. بعد المسافة وصعوبة التنقل إلى زاوية سيدي وذريس خاصة في فترة الشتاء.وصعوبة ترجمة بعض النصوص والأشعار القبائلية الى اللغة العربية،وعدم تجاوب النساء بسهولة ، ورفض الإدلاء بما لديهن من أشعار.

. ندرة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع.

وأخيرا تمكننا من جمع مادة لا بأس بها والتي وضعناها بين طيات هذه المدونة،ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الذي صبر معنا إلى أن اتممنا هذا العمل الصغير .ونرجو أن يكون هذا البحث البسيط قد ساهم في سد ثغرة من ثغرات الأدب الشعبي عامة وقصص الأولياء الصالحين خاصة.أملين أن نكون قد مهدنا الطريق لباحثين آخرين ليستدركوا ما بها من نقائص فقد صدق من قال :

لكل شيء إذ ما تم نقصان ولا يعز بطيب العيش إنسانا.

مدخل

أوليات المقاربة الأنتروبولوجية:

إن تحليل التاريخ الإنساني على اختلاف الزمان والمكان، والبحث في قضايا نشأته وتطوره، وتنوعه الديني واللغوي، والثقافي والشكلي واللوني، وتفاعله إيجابا وسلبا مع محيطه ومع أخيه الإنسان، أثبت أن له مكانة مرموقة، فقد أنزل الله تعالى فيه الكثير من الآيات التي تحمل الكثير من صفاته، وهذا في قوله:"وبدأ في خلق الإنسان من طين (7)، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (8)، ثم سواه ونفخ فيه من روحه(9)[1] .

فالكائن البشري لم ينشأ من فراغ، بل إحتوته مجموعة من الظواهر الحية والعلاقات الاجتماعية، التي جعلت منه سلالة متميزة لها حضورها الخاص، إستطاعت أن تصنع عالما وحضارة ،وتاريخا وثقافة خاصة بها. مما جعل منها مصدر الدراسات والتساؤلات والتكهنات، نظرا لتعقيد الحياة الإنسانية وما فيها من أسرار تجعلنا نهتم به . وهي ستضل دائما موضع التأمل والدراسة من قبل الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية على حد سواء. ولا عجب من ميلاد علم، يهتم بدراسة وتفسير اختلافه من ملامح جسمية، ولون البشرة، والعادات والتقاليد، والديانات والفنون وغيرها من مظاهر لحياة.

ومنه تبلورت فكرة نشأة فرع جديد من فروع المعرفة، الذي إصطلح على تسميته بالأنتروبولوجيا. "ويعد هذا المصطلح تعريبا للمصطلح الإنجليزي « Anthropology » والإصطلاح الفرنسي « L'anthropologie » .وكلاهما يرجع للجمع بين الكلمتين اليونانيتين « Anthropos » ومعناه الإنسان، و « L'ogia » ومعناه علم الدراسة، أي المعنى اللفظي للاصطلاح "علم الإنسان"[2] .

---

1 سورة السجدة(7-9).

2عاطف وصفي، الأنتروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديوبورن الأمريكية، دط، دار النهضة العربية،بيروت،1981،ص13.

ونظرا لتعدد الدراسات التي تهتم بالإنسان، من علوم طبيعية وإجتماعية ونفسية، فإن الأنتروبولوجيا حسب **ليفي ستروس** هي: "نسق للتفسير، يضع في الإعتبار النواحي الفيزيقية و الفسيولوجية، و السيكولوجية، والاجتماعية لكل أنواع السلوك"[1].

وعلى الرغم من أنّ الباحث في شؤون الإنسان ومدى تفاعله مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، قديم قدم الإنسان، إلا أنّ الباحثون يحكمون على علم **الأنتروبولوجيا** بأنّه حديث العهد، إذّا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والفلك.

ومن بين العوامل التي ساعدت على ظهورها، نجد الرحلات الإستطلاعية والإستكشافية، التي لها دور في تنمية الحس الأثنوغرافي الوظيفي، والكتابة عن الشّعوب والثقافات، إضافة إلى الثورات التجارية والصناعية، والعلمية والفكرية التي غزّت مختلف الشّعوب، ورغبة الدول الإستعمارية في التعرف على الدول التّي تستعمرها.

وعلى عادة العلماء فإنّ التعريفات تختلف من عالم لأخر، ومن مكان لأخر، وتنوعت تسميتها بتنوع مناطق دراستها.

فبالنسبة للأمريكيين تعني دراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء، ويستخدم الأمريكيون مصطلح **الأنتروبولوجيا** الجسمية الفيزيقية « physical antropology للإشارة إلى الجانب العضوي أو الحيوّي للإنسان ، بينّما يستخدمون مصطلح الأنتروبولوجية الثقافية « culture Antropology " » ليعني مجموعة من التخصصات التّي تدرس النّواحي الإجتماعية، والثقافية لحياة الإنسان[2].

---

1 عبد الوهاب جعفر ،البنيوية في الأنتروبولوجيا وموقف سارتر منها، دط ، دار المعرف،1980،ص 27.

2 ينظر حسين فهيم، قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، علم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، دط ،يناير 1978 ، ص14.

هذّا بالنسبة للتصور الأميركي، أما بالنسبة للتصور الانتروبولوجي في أوروبا، فإنّ الوضع يختلف من بلد إلى أخر نظرا لإختلاف المرجعيات الثقافية. فيصطلح الفرنسيون عليها بالأثنولوجيا « Ethnologie »،و" الأثنووجرافيا" « Enthnographie » في بعض الأحيان. وهم يدرسونها تحت مظلة علم الإجتماع، أما الإنجليز فقد إختاروا تسمية أخرى وهي الأنتروبولوجيا الإجتماعية.أما في ألمانيا فهي إشارة لدراسة طبيعية الإنسان. بينما الإتحاد السوفياتي سابقا ومعه معظم بلاد شرق أوروبا، نجد أنّ المصطلح الشائع هو مصطلح **الاثنوجرافيا** "« Enthnographie » وتهتم بدراسة التنظيم للمجتمعات البدائية[1].

أما في العالم العربي ففي مصر مثلا يأخذ البعض بالتسمية الإنجليزية الأنتروبولوجيا الإجتماعية، وذلك وفق رؤية الإتحاد الأمريكي.

وعلى صعيد أخر، يدعو محمد رياض الأخذ بمصطلح الأنتروبولوجيا بدلا من إستخدام أي من المصطلحات المزدوجة[2] .

وكما إختلف العلماء والباحثون في تعريف الأنتروبولوجيا، فقد إختلفت الآراء في تحديد أقسامها وفروعها، ولكن معظم العلماء والمعاصرين يتفقون على التمييز بين قسمين رئيسيين هما: الأنتروبولوجيا الطبيعية « physical antropology » ويرتبط هذا القسم بالعلوم الطبيعية خاصة علم التشريح، anatomy ويختص بدراسة الإنسان العاقل، خصائصه وتصنيفاته Homo sopiens من جوانب مختلفة.

فالأنتروبولوجيا الطبيعية تهتم بدراسة وظهور نشأة الإنسان على الأرض، كسلالة متميزة والبحث في العلاقات الكامنة بين تركيبه البيولوجي، وسلوكه الاجتماعي وثقافته من

---

1 ينظر المرجع السابق،ص16.

2 ينظر المرجع السابق،ص17.

جهة أخرى، بإعتبار أنّ البيئة الاجتماعية والطبيعية، تلعب دورا كبيرا في تكوين الشخصية الإنسانية المنتجة والمبدعة.

بينما، يختص القسم الثاني "**الأنتروبولوجيا الثقافية**" بدراسة طريقة معيشة الإنسان أي، ثقافتة وهي مفهوم خاص بالإنسان فقط، ولا توجد عند غيره من الكائنات[1] .

فالإنسان لم يتفوق لأنه الوحيد الذي، وقف على قدمين بين الكائنات، بل لأنه إنسان ثقافي وهو الوحيد الذّي تطوّرت قيمه وعاداته ومواقفه،وتنظيماته الإجتماعية. فلا وجود لمجتمع بشري دون ثقافة، فهي الوجه الأخر له.

فالأنتروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته سواء كان إنسانا ينتمي إلى شعوب قديمة، أو معاصرة. فهي تهتم بدراسته ككائن ثقافي ذو ثقافة متميزة، سواء في الحاضر أو المستقبل عبر كل الأزمنة والأمكنة.

ومن أهم عناصر الثقافة: العلاقة الاجتماعية التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، فتلك القوانين والظوابط والنظم الإجتماعية،التي يصنعها الإنسان لينظم بها علاقته مع غيره في المجتمع، وفي أنماط سلوكه مثل نظم اللغة، الاقتصاد، العائلة، السياسة، الدين والأخلاق، ونظم القرابة والعادات والتقاليد.

كما أنّها تمثل علاقة الإنسان بعالم الأفكار، مثل المبادئ العليا التّي يؤمن بها مجتمع معين، وكل هذه العلاقات تكون في حالة تداخل وتشابك، بحيث لا يمكن التمييز بين ما هو مادي، وما هو فكري، وما هو اجتماعي[2]. ومن جانب أخر فقد انقسمت من هذه الأخيرة

---

1 ينظر المرجع السابق، ص19.

2 المرجع السابق،ص28.

عدة دراسات منها : دراسة "**الأركيولوجيا**" أو علم الآثار، والتّي تهتم بالتنقيب في الأفكار، وتّعتمد على الوثائق القديمة، والشواهد من الواقع كالمدن القديمة والبنايات.

وعلم" **اللّغويات**" التّي تبحث في تحليل اللّغات وتصنيفها. ومنه يمكن القول أنّ **الأنتروبولوجيا** تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التّي يمكن حصرها وتلخيصها في:

رصد مظاهر حياة الإنسان عن طريق إنضمامه إلى الطبقة الاجتماعية، وتدوين مختلف المعاملات والسلوكيات التّي يقوم بها في تجاربه اليومية، وتصنيفه إلى فئات ونوعيات إنسانية مختلفة.

إضافة إلى تتبع التغيرات الطارئة على علم الإنسان، وذلك بالعودة إلى ثقافته السلفية، وربطها بالأنية عن طريق الموازنة، وتحديد مواطن التغيير المتعددة ومحاولة التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية، بعد إستنتاج التوقعات المحتملة بالتحليل والدراسة.

ومنه "**فالأنتروبولوجيا**"علم إنساني إجتماعي متكامل ، يهتم بكل أصناف وأعراف البشر وبكل الأبعاد الإنسانية في جميع الأوقات، فهي تدرس الماضي والحاضر وتتناول المجتمعات البدائية التقليدية، إضافة للمجتمعات الحديثة والعصرية وتهتم بأصول وتطوير وبنية المجتمعات المختلفة، ففضلا عن كونّها تهتم بالبعد البيولوجي والسيكولوجي، فهي تظم أيضا البعد الاجتماعي والثقافي.

وعلى صعيد أخر فغني عن البيان أنّ الأدب الشّعبي ميدان ثري للبحث العلمي، تضلعت منه عدة ألوان من أمثال، وألغاز، وأساطير وحكايا وقصص، تستدعي دراسات أو مقابلات، تراعي سياقاتها الثقافية والاجتماعية، التّي تنتج ضمن هذا التراث الشّعبي الضخم الذي تبدعه المخيلة الجماعة. ويحتويه المحيط والفضاء الحيوي، والذّي غالبا ما يكون فضاء قرويا. تتحكم في بنيته مجموعة من الطقوس والأساطير المعقدة.

فالمجتمعات كلّها سواء الحديثة، أو التقليدية تنتج دوما متخيلات لتعيش بها وتبني من خلالها رموزها وصورها وتحدد بواسطتها أنظمة عيشها. وهذا ما نجده واضحا في معظم أساطير التأسيس التّي تحكى هنا وهناك، وخاصة في القرى القبائلية. حيث يكون في البدائية فضاء غير مأهول، إلا أنّ يأتي إليه شيخ تقي، والذّي يصبح ولي من أولياء الله الصالحين. فيؤسس قريته بمحاذاة عين ماء مباركة ،أو حول خلوته المقدسة، وإن كانت القرية موجودة يقوم بمباركتها و تطهيرها[1]. فتتحول القرية بعد مباركتها من قبل الولي من عالم غير مؤنس "**لخْلا**" إلى مكان مأهول "**لعمارة**" فيعطيه اسما وهوية، وغالبا ما يكون اسم الشيخ الولي أو الجد الأسطوري. والولي هنا لا يقوم بمباركة المكان فحسب، بل يحمي ويسد لها برنوس العناية، وتصبح تحت حمايته. وفي هذا يقول الأهالي في كثير من القرى "أنهم يعيشون تحت جناح برنوس الولي فلان...". وهو ما يعبرون عليه بالقبائلية "ندّر سدّاو تشطاط نالسر نوالي...". بل إنّ البلاد كلها تعيش تحت العناية الأبدية والغوث الرّباني للأولياء، وهذا ما نجده في هذه المقطوعات الشعرية مجهولة المؤلف:

"الأولياء أين يوجدون !"	" لا وليا أندا إتسلين!"
هم في أعلى الجبل يحرسون	هاثن ذقو درار عوسن
تمتد أعينهم إلى كل البلاد	أسوالن إينوذان ثامورث
دونما حاجة إلى زيارتها	سوضار أورثسيد عفيس.
أزيحو الضباب عن القلوب	سيفرث ثاقوث غف وول
يامن بيدكم القدرة إجلائه	أكرا لا ثيذ يسران[2].

1 ينظر حميد بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشّعبي مقاربة أنتروبولوجية، الناشر أحمد ماضي، دار الحكمة، دط، الجزائر ،2009، ص12.

2 M Mammerie inna-yas cax Muhand.ed amrpah, Alger ;205,tomel ,p 102. نقلا عن بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشعبي مقارنة الأنتروبولوجية.

وفي هذا السياق فقد تداول بين الناس عبر الموروث الشّعبي الكثير من الشعر الشّعبي، والحكايات التّي تجمع في أغلب الأحيان بين الأسطورة والخيال والحقيقة، كما تجمع بين الأدب والإبداع، رغم تراكم الإضافات التّي يمنحها الرواة من خلال فعل الحكي الذّي يتطور عبر الزمان عن مقامات الأولياء الصالحين. غير أنّ هذا التراكم من الإضافات سوف لن يخفي نصيب الحقيقة في هذا الموروث الشّعبي، الذي يشكل نوعا من الأدب الشّعبي الذّي يتمتع بجمهور كبير.

ومن جهة أخرى، فإن تغلغل القيم الدينية في المجتمع القروي خاصة ، أدى بإفراده إلى استلهام سير وقصص الأنبياء عليهم السلام، وإسقاطها على الأولياء ولعل هذه المقاربة والمقارنة تضيء وتفسر دور الأولياء في العمران من خلال تأسيس المدن، ليشبه إلى حد بعيد قصة تأسيس الكعبة المكرمة. فقد فجر الله ماء زمزم بين رجلي إسماعيل عليه السلام بعد ما تركه والده بتلك البقعة ، التّي لا ماء فيها ولا زرع على أمر إلاهي، ثم قام إبراهيم مع إبنه إسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة بأمر إلاهي أيضا. ومنه فالماء والعبادة هما أساس العمران، فهذه الظاهرة نجدها تتكرر عند الأولياء. فأول عمل يقومون به هو توفير الماء بحفر بئر،أو تفجير عين، وبناء مكان للعلم والعبادة.

فالتعمير يتم بالنسبة للأول عن طريق المعجزة " **الوحي**" وبالنسبة للثاني "**الولي**" فعن طريق الكرامة، والتّي تعتبر من أهم القضايا العقيدية . وهي في حقيقة راجعت إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله، وكلتاهما إلاهية المصدر.

وعلى صعيد أخر فالأولياء الذّين لا يقومون بأي دور في التأسيس،سيعمل على ضمان الحماية والاستمرارية، مثل سيدي عبد الرحمان بمنطقة إيلولة،وهو يشبه المكانة التّي إحتلتها مدينة يثرب لما إنتقل إليها الرسول (ص) بعد الهجرة، فالأولياء هنا يرتبطون بسكان

وبعلاقات دينية روحية، أو إجتماعية أو معاصرة، ليتحولوا إلى أجداد مؤسسين للمجموعة البشرية المرابطة بهم بدوية كانت أو ريفية[1] .

وبإعتبار التراث الشّعبي مرتبط بالفضاء الجغرافي، الذّي تعمره البنية الجماعية وتميزها ثقافة خاصة بها، تؤثر فيها العوامل الجغرافية والعادات المختلفة، والبنيات العقائدية والتّي تمثل"ظاهرة إجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الإجتماعية، وتصوراتهم حول الوجود والحياة والقوى الطبيعية المخيفة، والمسيطرة أو المحكمة في حياة الكون. وهو نتاج عقلي وبدائي للتراكمات الزمنية العميقة، وكثيرا ما يختلط المعتقد بالميثولوجيا، فالكثير من المعتقدات تبدو وكأنّها أساطير، كما أنّه يفصح عن قضايا نفسية ترتبط بشخصية الأفراد. ويتحكم في المعتقدات عامل البيئة الجغرافية لأنّ الإنسان يتفاعل مع بيئته، الأمر الذي يختلق استجابات وردات أفعال "[2].

فالإنسان البدائي على العموم والقبائلي على الخصوص، له مجموعة من المعتقدات التّي يؤمن بها، ومن بينها الإيمان بالأولياء والذّي يعرف على الولي أنه عبارة عن رجل خارق للعادة وصالح ،لدرجة أنّ الله ميزه عن غيره بمجموعة من الخوارق أو كما تسمى "**الكرامات**".فيصبح بمثابة الوسيط بينهم وبين الله. فيدعون به ويتضرعون له، فالولاية مرتبطة بالدّين وهي عظيمة، لا يبلغها إلاّ من قام بالدّين ظاهرا وباطنا. بفعل المأثورات وترك المنهيات، فهي درجة عاليا لا يصعد إليها إلاّ بسلم الشّريعة.فيوفقهم لله بهدايته وتسديده، ويحيطهم بحمايته ونصرته، وهذا ما يتجلى في قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم:"أنّ الله قال: " من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما

---

1 ينظر، عبد الرحمان بوزيدة، الجزائر وأسطورته المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ وعلم الإنسان وتاريخ الجزائر،د ط ،2008،ص 80.

2 حسن الباشي ومحمد توفيق السهيل، المعتقدات الشّعبية في التراث العربي، دار الجليل، القاهرة، ص 60 .

إفترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل من أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذّي يسمع به، وبصره الّذي يبصره، ويده التّي يبطش بها ورجله الّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطيته، ولئن استعان بي لأعنته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردني عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءلته"[1].

وفي هذا السياق يرى الباحث عبد الحميد بورايو:" أنّ الأولياء هم الرجال المقربون إلى الله عزّ وجلّ شأنه يتصلون به، ولهم قدرة عجيبة، ويقومون بأعمال خارقة في حياتهم، وحتى بعد وفاتهم. ويكون ضريحهم رمزا لهذه القدرة على الفعل"[2].

ونظرا للجهد الّذي عم على المخيلة الجماعية، فقد وصلت إلى درجة الحلف به فكما يقال:" أحق سيدي علي وشتوق" أحق سيدي أوذريس"، فيتسم الولي بالقداسة وتسمى الأشياء والموجودات بإسمه، ففي قرية "أث علي أومحند" نجد بصمات الولي سيدي أحمد بن إدريس." سيدي أحمد بن إدريس محليا " في كل مكان:

- زاوية وذريس (زاوية ابن إدريس)
- ثاعوينت ن وذريس(عين الماء ابن إدريس)
- أجلاب ن وذريس (بردة ابن إدريس أو جزء من جلبابه)
- لقساط ن وذريس (جرة وذ ريس)[3].

وعلى هذا الصعيد يمكن القول أن المخيال الشّعبي يضفي على المناطق الّتي بوركت بالأولياء صبغة القديسة، وتجليات القداسة لا تنحصر في مظهر واحد، ولا تتحدد بموقع أو

---

1 رواه البخاري.

2 عبد الحميد بورايو، القصص الشّعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، وزارة الثقافة، د ط، الجزائر، 2007،ص22.

3 حميد بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشّعبي مقارنة أنتروبولوجية وفي هذا الصدد ينظر كتاب محند أكلي حديبي.

مكان واحد، بل تتعدد إلى الحد الّذي يخيل إليك أنه ليس الماء ولا الحجر ولا الشراب ولا الجبال.هو المجال الوحيد للقداسة المتخيلة بل، هو المكان برمته فيطلق عليها أنّها منطقة أو مدينة مقدسة. وغالبا ما تكون مشبعة بروح صوفية، وحكايات تتناقلها الأجيال والّتي تحيل إلى إخفاء وميض الحقيقة تحت ظلمة الأساطير المدعمة للمعتقد الشّعبي. ومن بين الظواهر الشائعة خاصة في قرى القبائل ممارسة مجموعة من الطقوس والّتي تشير إلى الكيفية الّتي يتم أداء الأنشطة المقدسة، وتنظيمها في إطار احتفالي الّتي تخضع إلى جملة من الشعائر والمراسم المعتقدة تترجمها رموز الجماعة القولية منها الحركية. وتتحقق من خلالها غاية التواصل ويرتبط بالسلوك الطقسي، جملة من الخصائص تميزه عن باقي الممارسات الجماعية،و الّتي تجري وفق سيناريوهات درامية متنكرة، تختلف باختلافة وضعية التفاعل والأنظمة التاريخية.

وفي هذا السياق ومن بين الطقوس الممارسة في المزارات والأضرحة، وأول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر أضرحة الأولياء الصالحين، هو تحليق الرؤوس والتعفر بالتراب والسجود والتمسح بالجدران والطواف حول الضريح. وغالبا ما تكون هذه الأضرحة بالقرب من المساجد والمقبرة، داخل قبة ذات طابع معماري إسلامي او ما يسمى بالزاوية ،والّتي تحظ بمركز خاص في حياة العديد من سكان المدينة أو القرية وخصوصا المسنين.

ولازالت طقوس الزيارة والتبرك وتقديم الهدايا (شمع، حناء، بعض القطع النقدية، والأضحية) تتم بشكل يومي وأسبوعي أو موسمي، كما تلعب دورا كبيرا في تدوين الأذكار والأدعية والمدائح وقصص الأنبياء.أو بأعالي القمم الجبلية خاصة، باعتبار أن أرض القبائل أرض جبال" ثامورث إيذورار"وكل القبائل يتباهون بهذه الجبال السحرية ، ويتغنون بها ويعتبرونها نموذجا لتعالي.

وهذاما لاحظته من خلال بعض الممارسات الّتي، يقوم بها أهل قريتي. فقد ترعرعت بين أحضان منطقة قبائلية تدعى"ترونة" تابعة لبلدية 'بني معوش"، وهي منطقة محافظة لها

عاداتها وتقاليدها، الّتي لا يمكن المساس أو الاستهزاء بها.فمنذ أن كنت صغيرة وأنا أذهب مع أفراد قريتي إلى قمة جبلية تسمى "قمة سيدي علي وشتوق" نسبة لأحد أولياء الله الصالحين والّتي يبلغ علوها 1200م، فمع شروق الشمس يستعد الكل حاملين معهم كباشا، أو ما يسمى بالقرابين ومعهم كل لوازم تحضير الطعام أو "الوعدة" وعند وصولهم يقومون بتقسيم الأعمال فيما بينهم حيث، يتجه الرجال الكبار إلى ذبح تلك القرابين وتقسيمها حسب عدد الحاضرين بينما، تتوجه المجموعة الأخرى لجمع الحطب لإشعال النار، ونفس الشيء بالنسبة لنساء يقسمن المهام بينهن حيث،يقمن البعض بإشعال النار وتتوجه الأخريات لتحضير الطعام والّذي يكون دائما الكسكس.

وبعد طهو الغذاء وأكل كل الحاضرين، تتوجه النسوة إلى غرفة لشعل الشموع والصلاة والدعاء. وأداء بعض الطقوس الأخرى، كدخول إلى غار ضيق وغار يدعى "إثري" لتضرع والدعاء بعودة أزواجهن المهاجرة إلى الخارج. ليجتمعن فيما بعد للهو" "أعمر اورار" حيث يبدأن بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر فضائل الوالي وشكره وأداء بعض الأذكار الأخرى، أو الأغاني الشعبية المعروفة.ليأتي المساء ويجمع الكل أغراضه ويعودون إلى بيوتهم. كنت أستمتع معهم دون أن أفهم سبب ممارسة تلك الطقوس؟ ولماذا قطع كل هذه المسافة ؟ ولماذا هذه القمة بالذّات؟ ومت تمارس هذه الطقوس؟ وماذا تمثل هذه الطقوس بالنسبة لهم؟ فهل هي مجرد عادة أو معتقد يؤمنون به، وهل هذه الطقوس جائزة، ام هي مجرد بدع محرمة؟.

كل هذه التساؤلات كبرت معي ونمت بداخلي، كلما زاد وعي لتقل هذه الممارسات،حيث تغيرت بعض الطقوس واندثرت بعضها الاخرى، لتبقى القلة القليلة على حالها.كل هذه وذاك زاد فضولي، وبعث في نفسي مجموعة من التساؤلات الّتي لم أجد لها جوابا شافيا وافيا، خاصة بعد التناقض الّذي أجده في الأجوبة الّتي أخذها من الفئات المختلفة. حيث ينظر البعض إلى هذه الطقوس نضرة تقديس. فتشعر عندما تسمع حكاياتهم

عن أولئك الأولياء وأساطيرهم، إنك إنسانا قديما قدم الأسطورة، وبسيطا بساطة الحياة، فتحس أنك تعيش بينهم، وتعاصر زمنهم، فتؤمن بهذه الحكايات وتصدقها دون أي شك. ومن جهة أخرى تنظر فئة أخرى خاصة الشاب إلى هذه القصص وأولئك الأولياء نظرة سخرية واستهزاء. و الّذي أثر على الدراسات العلمية وخاصة الحديثة، بحيث ينظر إليها الكثير على أنها طقوس وتعابير بدائية مجردة من كل الجماليات فهمشها الباحثون،ولم يتطرق إلى دراستها إلا القليلون الّذين ساروا وراء فضول الاستطلاع والنبش في الموروث الشّعبي والحكايات الّتي اختزنتها الذاكرة الجماعية. نفس الّذي دفع بهؤلاء الباحثين دفع بنا أيضا، لتطرق إلى جانب من جوانب هذا الموضوع المتشعب، والّذي حاولنا حصره في الطقوس وشعائر الممارسة، في مزارات الأولياء الصالحين.

وفي بادئ الأمر سنقوم بتفكيك واستنتاج العناصر المكونة له، والعلاقة المفترضة أن تجمع بينهم. ومنه يمكن القول أن هذا الأخير يتجزأ إلى ثلاث أجزاء أساسية ألا وهي:

"**الطقوس وشعائر**"،"**الأولياء الصالحين**"،**وحرف العطف الفاء**" تمثل **الطقوس والشعائر**"، مجموعة من العادات والمعتقدات المرتبطة، بوعي الشعب والبنيات الإجتماعية الخاصة. فدلالة شعبي مرهونة بالطبيعة الإيديولوجية السائدة في زمان ومكان ما، بينما يتمثل العنصر الثاني في "**الأولياء الصالحين**" والّذي يميل إلى الجانب الدّيني والتصوف والّذي يعتبر جزء مهم في حياة هذه الفئات الجماعية، حيث لا تخلو أي منطقة أو قرية من ولي يحرسها ويحميها. بينما يتمثل العنصر الثالث في حرف العطف" **الفاء**" وهي تفيد الظرفية الحقيقة، ومنه فهو يشير الى المكان المعين الّذي تقام فيه هذه الطقوس ،ويكون بطريقة أو بأخرى مرتبطة بالولي، ويمكن أن يكون زاوية أو مقام أو قمة جبلية أو ضريح ،وهذا يشير ضمنيا إلى وجود علاقة سببية وتكاملية بين هذه العناصر، ونفترض وجود رابط بين الطقوس والشعائر كمظهر ثقافي شعبي، والأولياء الصالحين كمظهر ديني تصوفي ألا وهو العقل الشّعبي المطلق الّذي يرى في الولي المحور الأساسي في المجتمع، وفي الزاوية فضاءه

الأول، وفي الطقوس معانيها الدينية، معتمدين في بحثنا على الجمع بين الدراسات العلمية، وما توصلوا إليه من نتائج واستنتاجات من جهة، ومستندين إلى المقاربة الميدانية والآراء المستنبطة من الذاكرة الشّعبية، وآخذين بالزاوية العامرة"**سيدي أوذريس**" أو سيدي " احمد بن إدريس" نموذجا ومثالا حيا،والّتي تعود تسميتها إلى الشيخ الولي "بن أحمد بن إدريس الأيلولي البجائي"، أحد علماء القرن الثامن هجري" الرابع عشر ميلادي" والّذي توفي بعد عام سبعة مئة وستون هـ_760 الموافق لـ1359م. والّذي تضلع في العلوم والمعارف الإسلامية خاصة الفقه، ويعد أحد رواة التصوف في الجزائر والمغرب الإسلامي[1] .

وقد استطاع نقش إسمه في الذاكرة الشّعبية، بفضل الأدوار المختلفة الّتي لعبها والخدمات المتنوعة سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي أو السياسي.

و لا يخفى على أحد وخاصة من خلال كنيته'الأيلولي البجائي" أنه يجمع بين منطقتين مختلفتين، إحدهما منطقة القبائل الصغرى "بجاية" أين ترعرع وبدأ نشاطه الفكري ليستقر في أخر المطاف بأيلولة تابعة لدائرة عزازقة ولاية تيزي وزو،أي منطقة القبائل الكبرى، والّتي ظل فيها إلى أن اخذ الله أمانته.

وربما هذه أحد أسباب الّتي، جعلت الزاوية تشتهر وتعرف خارج منطقتها"أيلولة" فشيخ المؤسس لها "سيدي أوذريس" استطاع أن يقدم الكثير لهذه الزاوية، باعتباره قد أخذ وتأصل من الثقافة البجائية، والّتي تعتبر أكبر المناطق ثقافة حيث "قامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة. ونبع بها علماء أجلاء كان لهم رأي في الشريعة الإسلامية.

---

1 ينظر يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الأول ،ط1،دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1995،ص292.

إضافة إلى أنها تظم أكثر عدد من المفتيين والأولياء فحسب رواية أبي حامد" فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا في أواخر القرن السادس،إلى الثاني عشر ميلادي"[1].

فإذا كانت بلاد المشرق هي بلاد الرسل والأنبياء، فإن بلاد المغرب هي أرض الصالحين والأولياء.وهذه المقولة لم تولد من فراغ وإنما لها مبرراتها وبراهينها الواقعية والموضوعية، المتمثلة أساسا في أركيولوجيا الزوايا والرباطات والأضرحة والمشاهد والمزارات، الّتي تؤرخ للأولياء الله الصالحين ، فكما يعرف على بجاية أنها مدينة (99) تسعة وتسعون ولي الذين غطوا بواديها وحواضرها، وملأوا جبالها وسهولها.

ليتجذر بعد ذلك في منطقة أيلولة وينشأ زاويته عامرة،والّتي لا تزال تمارس نشاطها إلى يومنا الحالي، وبذلك صارت الزاوية مدخلا من المداخل الرئيسية في حفرات الماضي للمنطقة بكل عناصرها ومكوناتها المادية والمثالية، نظرا إلى تجذرها في أعماق المجتمع. بحيث لا يمكن فهم هذا الماضي أو ذاك المستقبل دون استحضار هذه الأخيرة، الّتي ظلت بمثابة نهر مسترسل يغذي باقي الحقول المعرفية الأخرى، عبر روافد حية وقوية.

فباعتبار " أن أهم شيء قدمه الإسلام الوافد لهذا الإقليم وشعبه، هو وحدة اللغة والعقيدة، الّتي دعمت وحدتها العرقية والجغرافية والتاريخية"[2].فهذه الزاوية استطاعت أن تجمع بين المنطقتين تحت اسم واحد "القبائل". ومنه فموضوع بحثنا هذا لا يقتصر على منطقة دون أخرى فباعتبارنا ننتمِي إلى منطقة قبائلية توحدها اللغة الأمازيغية والعقيدة الإسلامية، وباعتبار الدين الإسلامي هو موطن وهو الجنس، الّذي يجمع كل المسلمين على اختلاف أوطانهم وأجناسهم. وتجمعنا الرقعة الجغرافية الّتي تمتد من حدود واد الصومام إلى

---

1 عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول ،د ط ، الجزائر،1982،ص10.

2 يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ص10.

سلاسل جبال جرجرة، ويضمنا التاريخ في المنطقة الثالثة. فإن بحثنا هذا سيضم كل طقس أو عادة أو معتقد يخص مزارات الأولياء ويخدم عنوان مذكرتنا، ومتعلق بالزاوية على إمتداد ميزاتها الحضارية، أو مظهر احتفالي رافق السيرورة الإنسانية التعبدية،والّتي يراها الأنثروبولوجيون على أنها شكل من أشكال التعامل الأسطوري مع الطبيعة، الهادف للحفاظ على الخصوبة الّتي تمثل أساس التواجد والاستمرار الطبيعي والإنساني.فهذه الطقوس فرضتها ظروف جماعية مشتركة، والذي أصبح يشكل ضرورة اجتماعية ثقافية تستمد قوتها وتمسكها وهويتها في الوجود عن طريق تقليد الخلق لسف، والّتي تعتبر غريزة المجتمع، والقاعدة الّتي تسير بموجبها مجريات الأمور.فرغم التحولات والتغيرات العنيفة الّتي أصابت بعض جماعات المجتمع و الّتي أدت إلى اختفاء بعض الممارسات إلا أنه لا يزال الكثير ممن حافظ عليها، وعمل على إحياء الطقوس، الّتي تعيد من خلالها معالم هوتيها وترسم أفاق إستمراريتها.

وغنيٍ عن البيان أن الثقافة الشّعبية إحدى المكتبات الأساسية لمعرفة هموم،و أمال وألام كل مجتمع، وبواسطتها يمكن سبر أغوار أحداثه التاريخية. للوصول إلى رسم صورة واضحة عن وقائعه التاريخية ،فالثقافة لا تنحصر في إدراك المعارف والفنون الشّعبية، بل يتعدى هذه المجالات لتشمل كل الممارسات والأنشطة الّتي يقوم بها الإنسان، وتساعده على التكيف مع طبيعة مجاله وخصائص مجتمعه ،من خلال الشّعرات الّتي يرددها في أهازيج الشّعبية الضّاربة في جذور التاريخ، والّتي تحمل في طياتها خصوصيات المجتمع، معبرة عن طقوس ترسخت في الأذهان مع مرور الأيام. اعتقادا منهم أنها مفتاح السعادة ودفع الشّر مهما كان مصدره. لذلك فكل مجتمع يختزن في جعبته خصائص يعبر عنها بواسطة عاداته وتقاليده. ومن جهة أخرى سنحاول الفصل بين ما هوطقس أو ممارسة دينية رسمية،وما هو متعلق بالتدين الشّعبي أي ما هو شبه دين،والّتي تميل أكثر إلى اعتبارها نوعا من البدع، الّتي يكون سببها غالبا الجهل، أو قلة الحيلة والحاجة إلى الراحة والطمأنينة.

فالعقل دائما يبقى بحاجة إلى طراوة الخيال وحلاوة الوهم، لكي يشتغل ويعمل ويستطيع تحمل أزمات الحياة ومشاكلها.

وأخيرا فلن نتمكن من جمع كل هذا وذاك إلا بالإعتماد على المنهج الأنتروبولوجي، كونه يركز على البحث الميداني ويهتم بدراسة الإنسان وثقافته، ونزع القشرة السطحية الساذجة، الّتي تبدو من خلالها الأنشطة الطقسية مفرغة من المعنى،وترى في دراسة رموزها وممارستها مجالا خصبا يسمح بفهم شواغل الجماعة وذهنها الجمعي، وميدانا ثريا لكشف ما ينتجه المتخيل الجمعي من صور ذهنية ورموز،لأمر الّذي يجعل من دراسة هذه المنتجات في متناول الدراسة العلمية[1].

فبعد تفكير الباحث في موضوع بحثه،أول شيء ينتقل إليه بعده هو المنهج الّذي سيعتمد في معالجة موضوعه هذا. واختيار الباحث منهج دراسته "تمليه ضروريات إبستمولوجية.

فطبيعة الميدان ونوعية الإشكالية، والغاية المقصودة من الدراسة كلها روابط صارمة، تفرض تبني جملة المفاهيم الإجرائية، الّتي تقوده حتما إلى هذا المنهج أو ذاك"[2].

وباعتبار المنهج الأنتروبولوجي يعتمد على طبيعة الميدان، الّذي يعتبر رقعة جغرافية تسكنها بنية جماعية. ويهتم بدراسة أساليب الحياة، وسلوكاتهم النابعة من الثقافة الّتي تشبع منها.

وفي هذا الصدد ولتحقيق نوع من الفهم والتحليل والتفسير ، فلا بد من الإستناد والأخذ بالأنتروبولوجيا الطبيعة والاجتماعية والثقافية، باعتبار الإنسان مخلوق طبيعي وكائن إجتماعي بطبعه، وحامل لثقافة وناقلا لها عبر الأجيال.

---

1 Htt ps://www.ensaniyat Revue ; org.49/2010
الطقوس وجبروت الرمز قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول.

2 حميد بوحبيب ، الأشكال الّشعرية الشّفوية والبنيات الاجتماعية مقارنة أنتروبولوجية، شهادة دكتورة في الأدب العربي جامعة الجزائرII،2012، ص24.

دون الاستغناء عن الدراسة الأركيولوجية،و الّتي تعتبر فرعا من الانتروبولوجيا الثقافية، والّتي تعمل على التنقيب والبحث في الأفكار الراسخة في الذاكرة التاريخية منذ القرون العابرة،والّتي تنتقل من ذاكرة إلى أخرى أبا عن جد.إضافة إلى اعتمادها على الوثائق القديمة والشواهد من الواقع من جهة، والإعتماد من جهة أخرى على الدراسة الأثنولوجيا، والّتي تعتمد على الدراسة الوصفية للمجتمعات وحضارتها وثقافتها، بحيث سنحاول وصف معظم الطقوس الممارسة في الزوايا والأضرحة المتنوعة.

ولهذا أخذنا من المنهج الأنتروبولوجي سند نعتمده وركيزة نركز عليها كونه منهج مرن، يضم في ثناياه العديد من الفروع والدراسات، الّتي تجعل منه منهجا تكامليا وشاملا يفسر الحقائق الأنتروبلوجية، من خلال ترابط عناصرها ومكوناتها.

الفصل الأول :

الطقوس وعلاقتها بالأولياء الصالحين

المبحث الأول: الزوايا وأبعادها

1. في تعريف الزوايا وخلفياتها التاريخية.

1-1 في تعريف الزوايا:

كانت القبائل وما تزال مركز إشعاع للعلم والمعرفة ومنبعا ثريا للعلوم الإسلامية، التي ازدهرت على أيدي المسلمين الأوائل ،والذين كان اهتمامهم كبيرا بإقامة الشّعائر الدينية، فقد تعددت أشكال الإيمان وكان لها حضور تاريخي فعال، تولى الدفاع عنها مجموعة المتصوفين والمربين والطرق الصوفية، والزوايا الّتي لا يمكن تجاهل وجودها والدور الهام الّذي تضطلع به، مع ذلك يجب عدم الخلط بين المفاهيم رغم تقارب وتداخل بعضها مع البعض الأخر.

فالتصوف بحد ذاته وجه، و الطرق الصوفية وجه، والمرابطية وجه ثالث والزوايا والمدارس الدينية الوجه الأخير، فلكل وجه دوره الخاص والمميز له. فلعل الوقوف السريع على هذه الأشكال الشّعبية من الإسلام، الذي نبتت له جذور عميقة في الريف على وجه الخصوص، يسمح لنا بتحديد خصوصياتها وأهميتها.

فكلمة التصوف ظهرت أول ما ظهرت في كوفة في القرن الثامن قبل الميلاد، وكان المقصود بها، الناس الذين أنذروا أنفسهم لحياة التقشف والتقرب من الله.

فالتصوف في الإسلام شكل من أشكال تفسير القرآن وأسلوب خاص لقراءته وممارسته. وقد وضع أبو القاسم الجنيد أساسا لجعل التصوف نابع من القرآن و السنة، ولإبعاد عن المنزلقات حددها بما يلي: الصيام في النهار، الصلاة وقوفا في الليل، والصدق في العمل ومراقبة الأفعال على الدوام. فالتصوف في نظره هو الانسلاخ عن هذا العالم،

والاتجاه نحو الله والانطلاق من الميثاق الروحي، يقود في نهاية المطاف إلى التوحد والفناء وهو تجربة فردية من العزلة والتقشف و التأمل [1].

وقد عرفه العلامة حاجي خليفة أنه:

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا اخو فطنه بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد الشمس مكفوف[2]

وعلى هذا الصعيد فقد كثرت الأقوال و الاشتقاقات لكلمة التصوف ممن رده الى صفوة ومن رده إلى صوفة، ومن رده إلى الإنصاف بالمحاسن ومن رده إلى الصفوة، ومن قال انه نسبة للبس الصوف الخشن وهو الأكثر انتشارا.

فعلم التصوف من علوم الشرعية الحادثة في الملة.واصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة، والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية.وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.

الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وماله من جاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وهو الدرجة الرابعة في التوحد[3].

فمهما يكن من أمر فان التصوف أشهر آن يحتاج في تعريفه إلى قياس اللفظ واحتياج الاشتقاق.

ومنه فقد فتح التصوف بابا واسعا لانتشار ظاهرة القديسين والأولياء الصالحين في الإسلام. وخرج من كونه مجرد تجربة فردية لتتحول إلى ظاهرة اجتماعية من خلال الطرق

---

1 ينظر محمد أرزقي فراد، إطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل، الجزائر،2007،د ط، ص 210.

2 حاجي خايفة، كشف الضنون، ج1،ص414،نقلا عن عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشادلية الدر قاوية ،ص09.www.shazly.com: http .

3 ينظر عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ،حقوقها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادي، ج 3، بين الفنون والعلوم والآداب الطبعة الأصلية،2006،ص 49.

والزوايا. ويعتبر شيخ المتصوفة بلا منازع في الجزائر هو بومدين الذي عاش في مدينة بجاية أيام الدولة الحمادية.

أما المرابطة فليس كالتصرف تجربة فردية لتقرب من الله ولاهي كالطريقة الصوفية، التي تعتبر مؤسسة اجتماعية ذات طابع ديني.

ولكن بشكل من الأشكال تعتبر امتدادا لبروز ظاهرة المتصوفة، والأولياء الصالحين والقديسين في الإسلام. يختلط فيها ما هو ديني، وما هو معتقد شعبي[1].

وعلى صعيد أخر هناك فروع اخرى من الزوايا تسمى باللسان الأمازيغي "**ثمعمرث**" وهي عبارة عن مؤسسة تربوية تعليمية ظهر معظمها بعد سقوط الدولة الحمادية.

وفي السياق مماثل تطور تعريف الزوايا من مرحلة لأخرى، فقد كانت أصلا رباط للجهاد، ليتطور إلى مركز لتعليم والعبادة ولتصبح أخيرا مقاما ثم ضريحا ومزارا لأحد المرابطين(من رباط للجهاد إلى رباط للعلم ثم رباط للعبادة). وفي الزمن القريب أصبح يدل على مقر لشيخ حامل للبركة والمتصوف الّذي ليس له علاقة بالجهاد ولا بتعليم والعبادة.

وإنما له علاقة بإعطاء الأوراد واستقبال المريدين والمقدمين والاخوان او حاملي الزيارات والبركات. ليلصق بهذا المفهوم ممارسة الحضرة والدروشة واستغلال جهل العامة وتتحول إلى مكان خاص بالخرافات و التجهيل والضلالة والاستغلال[2].

وفي خضم هذا التعريف نلاحظ أنّ الزاوية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان من خلال عاملين أولهما عامل الدين والشريعة كأصول إعتقادية وعامل التدين كممارسة إنسانية. ومن الطبيعي

1 ينظر جورج الراسي، الدين والدولة في لجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر ،دار القصبة الجزائر ،2007 ، د ط ، ص224 .

2 ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954/1830، جزء 3، دار البصائر، 2007، ط خ، ص 170

أن يتوجه أي إنسان إلى الأخذ بهذه الأماكن المقدسة كملجأ لهم، بدافع التقرب إلى الله أو بدافع العبادة أو التعليم.

وعلى العموم فالزاوية عبارة عن مؤسسة ومدرسة دينية ، تكونت في جو ازدهرت فيه الطرق الصوفية وانتشرت في المدن والأرياف وفي جبال الشاهقة والصحاري القاحلة ،أين عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا.

وإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل في الزوار والغرباء ويعلم فيه الطّلبة[1].

ولقد ولدت هذه الطوائف الدينية ،و الطرق الإسلامية من الحاجة لوجود وسيلة للتقرب من الله. وتطورت كذلك على هامش التنظيم الاجتماعي الرسمي ، وذلك بسبب الحاجة إلى بقاء الخصائص المحلية والسياسية والاجتماعية[2].

وكل هذه الجمعيات والمؤسسات،و الطرق الدّينية والصوفية كما يشهد على ذلك التاريخ من زمن السيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) تمثل علما للإلهيات ولكنها كانت تعتبر سواء بفكرها أو بممارستها عن حالة نفسية وميول واندفاع روحي وغريزة صوفية.

1-2- الخلفية التاريخية للزوايا:

ارتبط ظهور الزوايا في المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة بظروف سياسية وتاريخية واجتماعية خاصة، كالفراغات السياسية الّتي كانت تنتج عن غياب السلطة المركزية، أو تعرض البلاد إلى الكوارث الطبيعية المزلزلة كموجات القحط والفيضانات أو تعرض المجتمع لتهديدات خارجية مشرقية وأوروبية. فكان للزوايا نزعة روحية تجذرت في

1 ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1500، 1830، ج 1، دار البصائر، الجزائر 2007، ص262.4،

2 كمال بوشامة، الجزائر أرض وعقيدة وثقافة، تر محمد المغاربي، دار هومة، الجزائر 2007،د ط ،ص 103.

أعماق نفوس المجتمع ، بعدما كانت تحميه من الأخطار الّتي تحدق به لتصبح خاصة من خصائص التاريخ الجزائري، الّذي لا يمكن تناول أية فترة منه أو أي حدث من أحداث دون أن يأخذ بعين الاعتبار حضور الزوايا ، والطرق في تشكيل جزء كبير منه والّذي جعل منها الشكل الأكثر عمومية وحيوية في الأوساط الشعبية[1].

ومنه فتتسم الزاوية بسيمتين جوهريتين سمحتا لها بالنجاح والامتداد: أولا أنها شعبية لأنها في الأساس رد فعل شعبي عفوي للجماهير أمام العجز المفصوح وأنها شبه صوفية قائمة على الشطحات والجذيب بمعنى أنها تتجاوز الممارسة الجافة للشعائر الدّينية.

أنواع الزوايا:

لعبت الزوايا دورا هما في تثقيف الإنسان الجزائري وتوعيته ،ما جعل الزوايا تتنامى وتتعدد أنواعها منذ العهد العثماني.

فهناك زوايا تتكفل فقط بتعليم القرآن واللغة العربية بصفة عامة،وهناك زوايا تقوم بدور استقبال للمسافرين،و المساكين والشباب الّذين يبحثون عن المعرفة والفقه.

وأخيرا هناك زوايا أسست في ظل رجل صالح من بين الأشراف والّذين يتحول ضريحه إلى مكان للزيارة .وبتالي تأخذ الزاوية اسم "**الولي**" زاوية سيدي فلان مما جعل ظاهرة ألأولياء ظاهرة واسعة الانتشار في الريف الجزائري.

واستنادا إلى بعض الإحصاءات فإن عدد الزوايا في الجزائر يبلغ اليوم حوالي خمسة آلاف زاوية أي أنّ لكل قرية تقريبا زاوية أو أكثر.

ولا يجب أن نستغرب من الرقم وأن تقلل من أهمية هذه الظاهرة، فهي متأصلة في البلاد ولو نشرت لائحة كبار المسؤولين الّذين ينتمون إلى هذه الزاوية وتلك لقرأنا العجب العجاب

1 الزوايا والطرقية في بلاد الصالحين والأولياء 01 مارس، http :insamujat,revis ,org

وليس في هذا ما يعيب فالنفوس المعذبة تبحث دائما عن أماكن للتأمل والعبادة التي تعيد اليها السكينة والطمأنينة[1].

فبعض المرابطين وشيوخ الزوايا يتدافع الناس على أبوابهم صباحا ومساءا قصد أخذ النهج أو قراءة الغيب أو طلب حرز و التميمة او لمجرد الاستشارة، وعندما نقول الناس ،لا نقصد فقط المرأة العاقر التي تريد طفلا ولا شخصا مصابا بالعاهة يبحث عن علاج،ولا الخطيب الّذي يريد أن يتأكد منا إخلاص خطيبته وعذريتها.

تقصد كذلك المهندس والضابط ،ورجل الأعمال المسؤول السياسي الّذي يريد المشورة والاطمئنان إلى صحة وصواب ما يفعلون وما يخططون. يجب أن لا تضحكنا الظاهرة ففي الغرب العقلاني العلماني التكنولوجي المتطور يتزاحم ملايين الناس كل عام على أبواب المحتالون المشعوذين والسحرة والدجالين، من كل لون ومن كل طينة للبحث عن حل لمشاكلهم وراحة لنفوسهم، فما العجب أن تلعب الزوايا والطرق دور مماثلا في الجزائر علما أنها صاحبة تاريخ عريق ونهج شريف،لا تسعى إلى مال أو جاه بل مجرد خدمة المؤمنين والعبادة[2].

وعلى سبيل المثال لا الحصر ندرج زاوية سيدي وذريس الواقعة في قرية "أيت على أومحند" بأعالي بلدية لأيلولة أومالو، والّتي تبعد عن مقر ولاية تيزي وزو بنحو 70 كلم شرقا. أسسها الشيخ العلامة سيدي أحمد بن إذريس[3] في منتصف القرن الثامن هجري،"الرابع

1 ينظر جورج الراسي، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر، د ط، دار القصبة الجزائر، 2007،ص234.

2 ينظر يسلي مقران،الحركة الدّينية والإصلاحية في منطقة القبائل ،1920،1945 ، دط، دار الأمل، الجزائر،2007 ص70

3 ينظر تعريف الولي وذريس في الملحق.

عشر ميلادي" وهي من أهم الزوايا الّتي يشهد التاريخ بدورها في نشر القرآن الكريم، والثقافة الإسلامية حيث تحافظ على قيم الدين الإسلامي لحد اليوم.

لعبت هذه الزاوية دورا رياديا في مختلف المجلات عبر العصور، إذ تمكنت من تحقيق التوازن الثقافي، والعلمي بين الريف والمدينة. فكانت الزاوية بمثابة المسجد والجامع والجامعة كما كان لها دور اجتماعيا أثر بالإنجاب على المجتمع المحلي. ومر على الزاوية بعد وفاة ابن إدريس العديد من الشيوخ منهم : الشيخ الطيب وشقيقه طاهر، والشيخ محند السعيد البحري وغيرهم.

كما كان لزاويته دورا كبير في محاربته الاستعمار فقد لبت الزاوية نداء الجماهير علم 1830. حيث اجتمع فيها جموع المجاهدين القادمين من مختلف العروش وساروا لنصرة الجزائر بقيادة المواطن "علي أقوزوز" واحتضنت الزاوية القائد الشيخ بوبغلة 1851، كما كان لها ضلع في مقاومة الشيخ المقراني و بلحداد1871 ،إضافة أن لها دور كبير فالتوعية بضرورة التحرر والجهاد،باعتباره فريضة إسلامية وكانت مركز انتقاء المجاهدين الّذين كانوا يبعثون إلى تونس من قبل قادة الثورة، وبعدها أدرك لاستعمار الفرنسي خطورة نشاط هذه الزاوية، فعمل على غلقها وتحويلها إلى مركز لحشد سكان القرية "أث علي أومحند" والقرى المجاورة لها. وقد شهد الجميع على الدور الّذي لعبته في هذه الفترة ،وحتى هناك من ألف فيها عدة أشعار من بينها :

كَتشِي أسيدي أوذريس ثمقحلت أو فيلالي

أشحال إتسعيض ذلبرهان تسفغض أولا ذرومي

أسيدي عبد الرحمان أزرو نطهور ذلقاوي"[1].

1 راوية السيدة حسينة امالو.

وبعد الاستقلال استعادت الزاوية نشاطها في مختلف المجالات، وأعيد فتحها من جديد محمد سعيد أث يجر إلى أن توفي 1980، لتظل إلى يومنا هذا مدرسة لتحفيض القرآن، الّتي تظل أبوابها دائما مفتوحة بفضل حرص قطاع الشؤون الدّينية والأوقاف لولاية تيزي وزو على تهيئتها وترميمها، لاستقبال ضيوف الرحمان وحفظة القرآن ألكريم الّذين يتخرجون منها على شكل دفعات من كل سنة[1].

الموارد الاقتصادية للزوايا:

وفي سياق آخر فإن الزاوية لا تنتمي إلى ملكية الدولة ،ولا إلى ملكية خاصة فهي ملك للعامة وبتالي فإن مواردها الاقتصادية لا تعود إلى مؤسسة معينة وهناك عدة موارد:

أ) المساعدة الّتي يقدمها المحسنون من الأغنياء في شكل نقود أو بضائع وموارد غذائية من حبوب، وزيتون، ومفروشات وألبسة...إلخ.

ب) الأوقاف الإسلامية التي يوقفها الناس و المتمثلة في الأراضي الزراعة وحقول،وأشجار مثمرة وغلال كالزيتون والتين، أو ما يسمى الحباس. ولزوايا مصدر اقتصادي أخر، يتمثل في أموال الزيارات و الواعادي جمع "وعدة" الّتي يقدمها زوارها شكل نقود، أو بضائع وتختلف كميتها ومقاديرها وأنواعها، حسب اختلاف أهمية الزائرين ومدى ثرواتهم، وحبهم وتقديرهم للزاوية والشيخ العامل بها[2].

فالزاوية بالنسبة لسكان الناحية لها أهمية كبيرة، ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى إلى الدور الّذي تضطلع به هذه الزوايا، وبفضل هذه الأموال والهبات المتنوعة الّتي توجه لها أيدي المحسنين، تتولى هذه المؤسسة الدّينية الإنفاق على طلبة العلم القائمين عليها والزوار.

مكانة ودور الزوايا:

---

1 زواية شيخ الزاوية.

2 ينظر يسلي مقران، حركة الدّينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920، 1945، د ط ؛ دار الأمل، الجزائر، ص 60.

إن المؤسسات الدّينية باختلاف أنواعها تمتلك تأثيرا كبيرا وعميقا لدى الجماهير، بالنظر للدور البارز الّذي لعبته في جميع المجلات الدّينية منها، والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية والّتي يمكن تلخيصها في:

1 الدور الدّيني: والمتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر الإسلام، وزرع الثقافة الروحية في الشعب الجزائر عامة والمجتمع القبائلي خاصة[1].

2 الدور التعليمي: وهو في الحقيقة مكمل لدور الأول نظرا للعلاقة الموجودة بين الدّين والتعليم،وكان حاجزا حول كل المحاولات الّتي كانت ترمي إلى تغيير الشخصية الجزائرية. فقد أدت الزوايا دورا في نشر التعليم على نطاق واسع، حيث كان لها أساتذة كبار امثال الشيخ بن أحمد بن طيب الرحموني، سهروا على حماية الإسلام وتحفيظ القرآن ومبادئ اللغة العربية. والجدير بالذكر أن هذه الزوايا لا تزال تعد لنا رجالا فحولا لا يشق لهم غبار وفي مقدمتهم **ابو يعلى الزواوي**[2].

3 **الدور الاجتماعي:** هذا وقد تطور دور الزوايا مع تراجع دور السلطة المركزية، حتى صارت تشرف إشرافا تاما على المجتمع من خلال قيامها بمهام التدريس، والتعليم، والرعاية الاجتماعية. كحل الخصومات عن طريق الصلح والمصالحة على أساس التسامح و الثقافة والرحمة المستلهمة من قيم الإسلامية وبعض العادات الحسنة[3].

4 **الدور السياسي:**راهنت الزوايا كثيرا على مفهوم الجهاد والاغتراب بالإسلام،والموت من اجل الحماية الوطن خاصة في الفترة المعسورة، الّتي مر بها المغرب الإسلامي فترة المنافسة للدول الأوروبية، حول المستعمرات في إفريقيا وخضوعها لضغوطات شديدة بعد احتلال الفرنسيين للجزائر عام 1830، فقد قامت الزوايا بمحاربة الاستعمار منذ دخوله إلى أرض

1 نفس المرجع،ص 98.
2 ينظر كمال بوشامة، الجزائر أرض وعقيدة، ص 134.
3 المرجع نفسه،ص98.

الجزائر،فلم يدخر الزعماء الروحيون جهدا لإعلاء صوتهم ضد الوجود الفرنسي، على الرغم من إمكانيات المادية المحدودة إلا أنّ عزيمتهم كانت قوية، فقد شكلت هذه الزوايا الحصون الّتي انطلق منها المجاهدون حملة العقيدة، فكان لها دور الريادي في العمل الحماسي وتربية الجماهير و وتثقيفها فهي التربة الخصبة الّتي بفضلها رفع العديد من أنصار لواء الجهاد ضد الاحتلال ألاستعماري ،ورغم اختلافات انتماءاتها من سنوسية، وقادرية، ورحمانية إلا أنها برهنت عن ميولتها العالية وما تمتعت به من روح الوحدة[1].

وقد كثرت هذه المؤسسات الدّينية،وانتشرت خلال الزحف الاستعماري الفرنسي في القرنين التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، وكانت تتمتع بنفوذ روحية وسياسية واسعة، باعتبارها الملجأ الوحيد المتبقي للحفاظ على الدّين واللغة،وكان التعليم في هذه الزوايا تعليما دينيا أكثر من أي شيء أخر،ولهذه الظاهرة أهمية بالغة لفهم طبيعة الحركة الإسلامية مستقبلا ذلك أنها عمقت في ضمير الطبقات الشعبية، خاصة لدى سكان الريف وزرعت فيه روابط وثيقة بين الدّين واللّغة. مما جعلها في مواجهة مكشوفة مع الاستعمار الفرنسي، حيث ضاقت في أعين المستعمرين وأرادوا التخلص منها، ولم يكن الجو العام يساعد إلا قلة قليلة من الجزائريين على التمكن من لغتهم الوطنية. فكيف لا تتحول المدارس الدّينية في هذه الظروف إلى الملجأ الوحيد المتبقي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من شخصية الشعب وتراثه ولغته[2].

و لم يتوقفوا عند هذا الحد بل لجأوا أيضا إلى قوة السلاح في كثير من الأحيان فقد كانت بعض الزوايا تحمل نوعين من الطلبة مثل : زاوية سيدي اودريس الّتي كان لها شهرة واسعة في كل الجزائر، والّتي عرفت بتلاميذها الغريبة فقد كانت تظم نوعين من الطلبة وهما: " طلبة اللوحة (الطلبة نتلويحث)، ويقصد بهم الطلبة العاديون الّذين لم يقصدوا الزاوية لشيء

1ينظر محمد أرزقي فراد اطلالة على منطقة القبائل ،ص 75.
2 ينظر جورج الراسي، الدّين والدّولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر ،ص 232.

أخر غير التحصيل المدرسي. طلبة الهراوة (طلبة اودبوز) : والهراوة المقصودة هي تلك العصا الغليظة الّتي يستعملها هؤلاء سلاحا لهم إلى جانب الأسلحة البيضاء"[1].

وكان يعرف عليهم أنهم صعاليك ومشاغبين وقد لعبت هذه الفئة دورا رئيسيا في مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة، باعتبارها تتكون من الفرق المسلحة المتدربة على القتال،لامتلاكهم الخبرة في الميدان . ومما لاشك فيه انّ فرنسا قد أدركت الدور الخطير ، الّذي كانت تؤديه الزوايا من أجل هزم الفرنسيين لذلك لم تتوان في مضايقتها ومراقبتها عن كثب فبالإضافة إلى الإجراءات المتخذة من السلطات الفرنسية لمحو الشخصية الجزائرية وتجهيل شعبها ومحاولة تنصيره.

فقد قامت بمحاربة رجال الدّين والإستلاء على الأوقاف الإسلامية باعتبارها الراعي والممول الرئيسي للنشطات الدّينية والتعليمية، ولهذا فقد أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا لتصفية أملاك الأحباس من مساجد ومساكن وزوايا. فقد أغلقت السلطات الفرنسية 1830 في مدينة للجزائر 13 مسجد كبير، و 108 صغير ، و32 جامع،و12 زاوية وحولوها إلى كناس[2].

وغني عن البيان أن هذه المضايقات الشديدة والرقابة الصارمة المطبقة على الزوايا أثرت عليها وجعلتها تؤدي دورها الوطني بحذر شديد،ولعل أبرز دليل يؤدي نجاحها في هذه المهمة انضمام الكثير من طلبتها إلى ثورة نوفمبر 1945. ولجوء فرنسا إلى استعمال كل أنواع التنكيل والّتي وصل بعضها إلى حد الإغلاق التعسفي وتدمير مما تسبب في دفن كنوز عديدة متمثلة من المخطوطات ومكتبات زاخرة بالكتب كما حدث في زاوية عبد

1 حميد بوحبيب،ا لأشكال الشعرية الشفوية والبنيات الاجتماعية،ص 65.
2 ينظر عمورة عمار موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانية ،ط1، الجزائر 2002، ص125.

الرحمان الأيلولي، الّتي دامت نار مشتعلة في كتب لمدة أسبوع كامل،وحتى لتلاميذ والمعلمون لم يسلموا من حملات القمع فقد تم توقيف أغلبهم وقتل ونفي البعض الأخر[1].

فتدمير فرنسا لزوايا لا يفسره إلا عجزها عن إيقاف دورها النضالي والعلمي، وقد انتهت الإدارة الفرنسية إلى الاقتناع بعدم جدوى في إعادة هيكلة التقليدي للأهالي، وشرعت في محاربة مكشوفة لكل الدوائر التعليمية الّتي تتصدى بالقرآن الكريم واللّغة العربية ، ومن طرف آخر أقتنع الأهالي بأن الانخراط في المدارس الفرنسية هو نوع من الخيانة والذوبان في ثقافة الآخر كل هذا وذاك جعل الثقافة الشعبية تطور أليات الدفاع الذاتي فكانت الرحمانية تتصدى لتلك الحملات بفضل العدد الهائل من الزوايا التابعة لها وبفضل تغلغل قادتها الروحيين في أوساط الشعب. مثلما فعل الشيخ الحداد مقدم الزاوية الرحمانية بصدوق ولاية بجاية، الّذي يتجاوز الثمانين وهو أحد زعماء الثورة 1871، حيث يتجول في الأسواق مرفوعا فوق الأكتاف لعدم قدرته على المشي ليحمس الناس للثورة ولجمع القوات اللازمة لذلك [2] .

فأصبح الشعب الجزائر يردد قول سي محند أومحند:

أنرز ولا أنكنو ننكسر و لا ننحني

أخير دعواسو نفضل الأذى

ولا لقودة ن الشيفان عن كل حاكم ظالم

فأمام تعذر تنظيم الثورة المسلحة تبنت الزوايا أسلوب أخر يعمل على تحصين المجتمع ، من المسخ الاستعماري وما نجم عنه من شرب الخمر والقمار... فقد دأب رجال الدّين على تنظيم حلقات الذكر،و الّتي عملت على مواجهة ثقافة الأخرى والّتي انتهت بنجاح. فزرعت

1 ينظر كمال بوشامة، الجزائر أرض وعقيدة، ص 152.
2 ينظر محمد أرزقي فراد، اطلالة على منطقة القبائل،ص82.

في نفوس الجزائريين وعيا حضاريا جعلهم يؤمنون أن الرومي رومي، والمسلم مسلم وبذلك استطاعت ثقافة الزاوية أن تحافظ على جذور المقاومة المتأججة في داخل المجتمع[1].

وهكذا بدأت الثقافة الشعبية تخلق ميكانزمات دينية في الغالب فظهر على رأس كل قرية أو عشيرة شيخ فقيه من أتباع الرحمانية في غالب الأحيان يمارس الفصل الثقافي كتحدي ومواجهة لثقافة الأخر ومن أشهر هؤلاء الشيوخ: "الشيخ محند أولحسين، والشيخ محند أومزيان" وغيرها[2].

ومن جهة أخرى فقد كانت حلقات الذكر فرصة الانتفاء على الوجع والتخفيف من القهر الاستعماري. ولعل أبرز شخصية وصفت الشعر الدّيني كأسلوب للمقاربة نجد المدعو الحاج سعيد المتوفى سنة 1946 ومن بين قصائده:

"القوم يبغان لمحاين قوم يستزيدون المعاصي
لا يرق يتسار يتساض كمن يحترق ويتقدم ضحكا
دقول ادان وعذوان قلوبهم مع الاعداء
قلن دار أو نفرنسا لفرنسا صاروا أبناء
دنسلمن بفغيث لحير مسلم غير مبال
ذاشابو الكافرءا قلسا تاجه قبعة الكافر
أمورومي اقتمسفير سلوكه تفرس ساخر
تجلش لتنس ذي طاسا شرابه الخمر
أورثالي توتشحا أف لغير فلا ملامة على الغير

1 المرجع نفسه،ص 82.
2 حميد بوحبيب ، الأشكال الشعرية الشفوية، ص 63.

فاثما ثنغ أدوس مادام الذنب من الإخوان"

وهذه القصيدة قد قالها وهو منتقد لتيار دعاة الإدماج وهؤلاء المتشبهين بالفرنسيين والخونة الّذين باعوا بلادهم ودينهم وثقافتهم.

فعلى الرغم من أن الاستعمار قد عرف أين يوجه ضربته،ورغم أن الزوايا قد كانت فترة بين مطرقة الادارة الاستعمارية ،إلا أنها استطاعت أن تعود من جديد وتكون حصنا لكفاح عنيد من أجل مصير بلاد غيور على ماضيه وعلى أصالته.

وعلى أي حال لا يمكن تجاهل الأدوار الكثيرة للزوايا من تثقيفها للناس وتلقينهم الأذكار،و الأوراد وملئ الفراغات السياسية،و حل النزاعات وكونها قبلة للملهوفين وملجأ للهاربين والفارين.

كما لا يمكن أن ننكر دور هذه الزوايا فقد كونت العديد من الشخصيات الشهيرة والمثقفين الكبار الّذين أدوا إلى بعث نهضة ثقافية وروحية. وهنا يحضر ببالنا الشيوخ المبجلون من امثال الشيخ بلحداد، وعبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، الورثيلاني،وأبو يعلى الزواوي.

وعلى صعيد أخر، فإننا نلاحظ بأن تطور الزوايا بالمدن تضاءلت ونقصت مقارنة بالزوايا في الأرياف والبوادي.

ففي المدن فقدت الزوايا تأثيرها بعد الاحتلال،خاصة بعد وضع أيديهم على المصادر المالية والأوقاف وهدم العديد من المؤسسات وجعل بعضها ثكنات وكنائس.أما الزوايا في الأرياف خاصة منطقة الرواة بالرغم ما عانت منه من السلطات الفرنسية من رقابة صارمة سواء على التعليم أو على أي نشاط سياسي واجتماعي . إلا أنهم حاولوا إصلاحها وإعادة

فتحها بعد خروج المستعمر وتطويرها بجعل تعليمها يتماشى مع التطور المنهجي والنفسي، لأن في إصلاحها محافظة على اللّغة العربية والتراث الإسلامي[1].

ورغم النقد الّذي يوجه إلى منهج التعليم في الزوايا وجعله يميل إلى الخرفات والبدع إلا أننا لا يمكن لنا إلا أن نزيد إكبار و تقديرا لمقاومة رجال الزوايا فالزوايا التعليمية الباقية بعد الاحتلال الاضطهاد والّتي قدرت في منطقة زاوية بين 17 و 19 زاوية يجب التنويه بها. فرغم أن هناك من نعتها بأنها خارجة عن الإسلام الحقيقي، ومن يمارس فيها ما هو إلا بدع،إلا أن هناك من يتمسك بها حيث لا يريد أن تفقد هويتها الروحية، من أجل مطامع دنيوية. ولا يمكن لنا أن نقول في هذا السياق" إلا أنّ تاريخ الزوايا زاخر بالعلوم والمعارف، لابد أن ينعكس على حاضرها ومستقبلها ،ولذلك نجدها قد حافظت على الهوية العربية الإسلامية إبان الاستعمار،ولازالت تضطلع بالدور العلمي والاجتماعي الّذي كانت تؤديه في الماضي.

كما أنها لا تزال تتمتع بالاحترام والتقدير في نفوس المجتمع وهذا مرده إلى السلطة الروحية الّتي تستمدها الزاوية من وظيفتها الدينية"[2].

وأخيرا ، ليس أخيرا فالزاوية كانت عنصر فعال من تاريخ المجتمع الجزائري عامة و القبائلي خاصة، حيث كانت الحضن الدافئ والمدرسة والملجأ، لكل من طلب يد المساعدة كل تبعا لرغبته، إذ تعددت جوانب خدماتها من توعية و تثقيف وتوجيه. ولهذا ستبقى عضو حيا يحفز على الاستمرارية في البحث ويثير فضول الباحث.

1 ينظر أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص178.
2 محمد دباغ ،دراسات في التراث، د ط ، دار المغرب، 2007، ص111.

المبحث الثاني: الاولياء وكراماتهم بين الحقيقة والأسطورة

في تعريف الأولياء:

تمتد ثقافتنا الشعبية عبر مساحات شاسعة، لا يمكن لنا تحديد معالم الأرض الّتي نبتت فيها، فلكل جماعة بشرية ذاكرتها وأحداثها المؤسسة لها، والّتي تحييها أساطيرها وحكايتها، وقصصها الغريبة. فلما فتح الإنسان عينيه شاهد هذا الكون العظيم ونظامه البديع، فاهتدى بفطرته إلى أنه لابد من قوى غيبية عليا وراءها، وجد نفسه بحاجة إلى الوساطة أو الوسيلة الّتي تفصل بينه وبين تلك الظواهر الطبيعة والقوى الغيبية فأخذ يفسر ويعلل بمنطقه البسيط ويؤلف أساطير بأنواعها المختلفة الحقيقية والخيالية ،وقدم تفسيرات أولية لها. ومن بين القصص الّتي غاصت عبر عقود الزمن في أواسط القرى والمداشر، نجد قصص الأولياء الصالحين الّتي انتشرت نتيجة الروح الدّينية، الّتي كان يتحلى بها الشعب الجزائري من جهة، ونتيجة انتشار الفكر الصوفي الّذي كان يشجع هذا التوجه من جهة أخرى لتنتشر ظاهرة الأولياء في الأوساط الشعبية، الّتي ترى الولي الصالح هو إنسان خير وهب الكثير من حياته لدين وفعل الخير، فكافأه الله بقدرة معينة. كالتفسير الأحلام أو رؤية المستقبل ،

أو شيئا من هذا القبيل مما يسمى بالكرامات .وبعدما ماتت هذه الشخصيات و بنيت مقامات حول قبورهم واتخذت كمزارات لترحم على أرواحهم[1] .

ومن هنا اصطنع الإنسان البدائي لنفسه دينا، أو لنقل فلسفة تزيل عنه مخاوف الإحساس بالفناء، ووجد من الأولياء الّذين كان يعتبرهم كواسطة بينه وبين الله عز وجل، شخصيات يعبدها ويقدسها ،ويرمز للقديس أو الولي بكلمة "سيدي" ويختصرها في للفظة "سي" .الّتي تدل على العليم أو الفقيه، وهو الإنسان الّذي قضى معظم حياته في فعل الخير، والّذي عزل

[1] ينظر ، مروان بركة الأولياء الصالحين. Http ://www.subve mblue.com, arabic 2006/01/26

نفسه إراديا في الطبيعة، فيتحول بعد موته إلى مرابط أو ولي. والنساء مثل الرجال يمكن أن يتحولن إلى مرابطات ويطلق عليهنّ اسم "ستي" والكلمة البربرية الأكثر شعبية "لالة" والّتي تدل على المعلمة، ومن بين هذه النساء نجد لالة عيشة المندوبية قرب تونس، لالة تسعديت في ضريح قرب باب الزوار إما قورايا في بجاية[1].

وبدون شك فإن الجزائر الواقعة بين المشرق والأندلس، كانت معبرا لهذه القصص الّتي قامت بتعميق الروح الدّينية من جهة، و حفاظا للكيان العربي الإسلامي واستلهاما لروح المرابطية المستمدة من تعليم الإسلام بقدسيتها و عجائبها من جهة أخرى[2].

والمعروف على المجتمع الجزائري أنه يستند إلى خلفية مرجعية روحية قوية، رغم بعض التقاطعات بين الدّين والبدع والخيال مع الواقع الأسطوري.

فالولي في المنظور الشعبي، هو رمز مقدس وجزء لا يتجزأ من قداسة الله ورسوله. وبتالي فطاعته واجبة كبقية الفروض الدّينية، واحتفالياته أمر ضروري في كمال تدين هؤلاء،و أكثر من ذلك فقد أصبح الولي واحتفاليته من الدّين الإسلامي والإدعاء بغير ذلك من المنظور الشعبي لهؤلاء هو خروج عن الملة والدّين. فهم يرون من الأولياء أنهم بشر مثلنا، ولكن ليسوا منا، ونتيجة لجهل المثير من المسلمين بدينهم فقد كثرت الشركيات والبدع، والخرافات ومن ضمن هذه الشركيات تعظيم بعض المسلمين الأولياء الصالحين ودعائهم من دون الله واعتقادهم أنهم ينفعون ويضرون، فعضموهم وطافوا على قبورهم، وزعموا أنهم يتوسلون بهم إلى الله لقضاء الحاجة وتفريج الكربات، ولولا أن هؤلاء الناس الجهلة رجعوا إلى القرآن والسنة، وفقهوا ما جاء فيها لعرفوا انّ التوسل الحقيقي هو الّذي يكون عن طريق طاعة الله وطاعة رسوله (ص)، أما التوسل إلى الله عن طريق الفزع إلى قبور الموتى، والطواف عليها

---

[1] Voir dmond doutté ,l'islam algérien en l'an 1900,traduit par Mustaphagi ralt ,Bibliothèque nationale de France,1900,p43.

[2] حياة مستاري،قصص الأولياء في الأوراس منطقة كيمل نموذجا جمع ودراسة وتوثيق، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة في الأدب الحديث قسم اللّغة العربية،2006،2007، ص83.

وتقديم النذور لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، فإنّ هذا ليس توسل ، بل شرك وكفر والعياذ بالله، فكيف يطلب العبد حاجته من عبد مخلوق مثله. فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ،لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك".فلا يمكن لعبد ان ينفع أو يضر عبد الله إلا بما كتبه له الله[1].

وغني عن الذكر أنّ الأولياء الصالحين موجودون ولا يمكن لأحد أن ينكر هذه الحقيقة، الّتي، أثبتها القرآن حيث قال المولى تبارك وتعالى: "ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، (62) الّذين أمنوا وكانوا يتقون (63) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخيرة لا تبديل لكلمات الله[2].

وقد تطرقنا في العديد من التعريفات إلى معنى الولي ومنها: الولاية بالفتح لغة القرابة و الولي معناه القريب المحب.

أما اصطلاحا:

فالولي هو الرجل الصالح الذي أدى أوامر الله، واجتنب محارمه وتقرب إليه بالفرائض والنوافل ، حتى أشرقت عليه الأنوار والتجليات الإلهية، وأصبح لايحتذي بطريقة من أراء الكمال الصوري والمعنوي [3].

فالولي مصطلح عربي يستعمل بين مسلمي إفريقيا وصف لرجل المقدس، الّذي يعتقد أن له قوة خارقة يستطيع بها شفاء المرضى وأنه يضفي البركة على الزوار. "وتدل البركة على قداسة صاحبها وعلى قوة تنبعث من جسم القديس وتستقر بكل ما يلمسه من ثياب وطعام

[1] ناصر عبد الكريم العقل، التوسل والأولياء الصالحين، د ط، جدار ابن خزيمة، د ت، ص 2،3.
[2] سورة يونس،62،64.
[3] ... محمد فريد وجدي، الإسلام في العلم، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967،ص568.

وأدوات وتبقى ملازمة وعظامه من بعد موته"[1].ومن مظاهر التبرك تقبيل الجدران، والتمسح بالحيطان، وكل ما يضاف إلى ذلك المكان، ويعتقدون أنهم عند ممارسة هذه التبركات والطقوس يستعدون من روح الولي بركة، في كل ما يخصه من مستلزمات متبقية داخل محيط الأضرحة وهي ممارسة أسطورية طقسية(Mytico-Rituel).

صفات الأولياء:

فأولياء الله حسب قوله تعالى:" الّذين أمنوا وكانوا يتقون، هم الّذين توفرت فيهم الصفات الآتية:

الأولى أمنوا : أي حققوا توحيده والإيمان به، ولم يشركوا به شيئا، وكانوا يتقون، فما من شيء أمرهم الله به إلاّ فعلوه ،وما من شيء أنهى عنه إلا اجتنبوه، وإن زلت بهم الأقدام، وظلت بهم الأفهام، تابوا إلى الله واستغفروه. قد حصر القرآن الكريم في صفات التقوى، التزام العلم والمعرفة ولا يتم ذلك إلا بالفقه، فالخير كله في الفقه في الدّين، كما أن الشر كله في الجهل بالدّين.فلا يخفى عنا أن من لم يرزق بالفقه في الدّين قد فاته الخير، وماذا بعد الخير إلاّ الشر.

هكذا بين الكتاب والسنة صفات الأولياء الرحمان الّتي منها العلم والمعرفة والصلاح والتقوى.وذلك يعني أن الأولياء هم العلماء العاملون، والفقهاء المبرزون حملة كتاب المتبعون لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. مهما كان عالما أو تاجرا، أو جنديا، أو صالحا، أو حاكما، فعليه أن يتمسك بالفقه والشريعة ومن لم يعمل به كان فاجرا وضالا عن الطريق

أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" رواه البخاري. وفي سياق أخر فقد ورد في بعض الأحاديث، أن أولياء الله موجدين إلى يوم القيامة ومنه حديث رواه البخاري والمسلم عن المغيرة أنه صلى الله عليه وسلام قال لا تزال طائفة من

[1] يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الدّيني، ط1، دار الفرابي ،بيروت ، 2003،ص55.

فأولياء الله المؤمنون الذّين تحابوا في الله تعالى، من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس في قوله تعالى:" لا خوف عليهم ولاهم يحزنون". أولئك الأولياء باقون حتى تقوم الساعة، على حد القول بأنه لا تخلوا الأرض من المؤمن[1].

أقسام الأولياء:

وغني عن البيان أنّ الله لم يتخذ وليا جاهلا يجهل دينه، وما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام لتقضي بذلك على الزعم الشائع بين الكثير من الناس. أن الأولياء هم أولئك الجهلة المخادعون من الكهنة والمشعوذين، من السحرة الذين يسحرون أعين الناس ثم يتظاهرون بفعل أشياء مثيرة، وهذا يعني أنه لا تلازم بين الولاية، وبين ظهور الأمور الخارقة للعادة.

ويتضح مما تقدم أن الأولياء ينقسمون إلى قسمين:

1)**أولياء الرحمان:** وهم الّذين تولى القرآن تعريفهم وأمورهم ووفقهم، وتفضل عليهم بالكرامات الّتي من أعظم أنواعها معرفة الحق وأتباعه والاستقامة عليه، والاستقامة الّتي تنتهي بالعبد إلى دار الكرامة والجنة.

2) **أولياء الشيطان:** فهم الّذين وثقوا صلتهم بالشيطان، ونظموا معه حياتهم بعد أن قطعوا صلتهم بالله، أو ضعفت على الأقل، إذ لا يقع العبد في ولاية الشيطان وهو قوي الصلة بربه[2].

[1] الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، الأنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من كرامات والالطاف، تج، ط1، عبد رزاق عبد المحسن بن محمد العباد البكر، دار الفر قال، 1997، ص 61.

[2] ينظر الفرقان بين أولياء الرحمان ولأولياء الشيطان، www.wiki source.org .

وقد أنزل الله عزّ وجلّ فيهم الآيات التالية "الله ولي الّذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والّذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[1].

فالشيطان عدو الإنسان الأول، الّذي يسعى لهلاكه ومع ذلك فإن غالبية البشر إتخذوه وليا يسيرون على خطته، ويرضون بفكره في قوله تعالى: "فتتخذونه وذريته أولياء من دوني، وهم لكم عدو بئسا للظالمين بدلا"[2].

وقد خسر باتخاذه وليا خسرانا مبينا، في قوله عزّ وجلّ: "ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا"[3].

وفي سياق أخر نجد من خلال القصص المنسوجة للأولياء أنهم ينقسمون إلى نوعين: حيث يتمثل النوع الأول في القصص المنسوجة حول الكرامات وأقطاب المتصوفة المعروفين، مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ احمد التيجاني، ويقوم برواية هذا النوع من القصص عادة رواة محترفون.

أما النوع الثاني فهو عبارة عن قصص محلية تنفرد بها كل قرية، أو مدينة أو منطقة، بقدر منها يدور حول كرامات أولياء محليين. ويقوم برواية مثل هذه القصص رواة محليين في منطقة معينة، وهي عبارة عن روايات قصيرة تتناول معجزات هؤلاء الأولياء، وهذه المعجزات يحفظها أهل القرية ويرونها للوافدين من الغرباء، وتمثل جزء من معالم موطنهم وتراثهم الّذي يفخرون به[4].

---

[1] سورة البقرة،الأية 257

[2] سورة الكهف الاية 50

[3] سورة النساء الاية 119

[4] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري دراسة أشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية د ط، دار القصبة، الجزائر ، 2007،ص 128، 129.

والمعروف على بلاد القبائل أنها من أكثر المناطق الّتي عاشت هذه الظاهرة، فلبجاية وحدها 99 ولي أي ينقصها ولي واحد لتساوي عدد أولياء المكة المكرمة. فقد احتلت مكانة معتبرة بين سكان المنطقة، وكان لهم حضور متميز شمل كل الأمصار في المدن والقرى، والسهول، والجبال، والصحاري. فكان بعضهم زهاد ومتصوفون عارفون بالله، وآخرون أصحاب كرامات وشخصيات صوفية، وبعض الأخر شرفاء يدعون الانتساب إلى سلالة النبي صلى الله عليم وسلم[1].

ومهما يكن أصلهم وفصلهم فقد قدسوا من الناس الّذين جعلوا منهم وسائط بينهم وبين خالقهم. وهناك من تجاوز ذلك إلى درجة الغلو في الصالحين، والّذي وصل أحيانا إلى العبادة بدعوى المحبة والتقدير دون يفرقوا في محبتهم في الله، ومحبتهم مع الله. فاعتبروه رمز للتقوى وكان الولي بالنسبة للفلاحين صورة السيد المولع بمساعدة الفقير وإغاثة المريض، وإكرام عابر سبيل، وإحلال العدل، وحماية المستضعفين من بطش الظالمين[2].

كرامات الأولياء بين الحقيقة والأسطورة:

تعد قضية الكرامات من أهم القضايا العقيدية الّتي، اثارت جدلا واسعا عبر التاريخ الإسلامي، الّذي يتمركز أساسا حول جواز التصديق بها خاصة بعد ما تعددت وظائفها وتأثيرها وكثر الغلو فيها . ذلك لان الولاية وان ظهر لها في الظاهر أثارا ،فقد يخفي لانها في الحقيقة امر باطن لا يعلمه إلاّ الله. فالكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد صالح، غير مدع للرسالة، وهي من الامور الجائزة عقلا والواقعة فعلا. جاء بها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة. كما جاءت بها الإخبار الكثيرة المروية عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا. والدلائل في القرآن كثيرة، منها

[1] Voir Haouari , touati entre dieu et les hommes, éditions de l’école des hautes études en science sociales ; paris, 1994 ; p 249.

[2] Ibid p 258

قصة مريم حيث وجد عندها الرزق بلا سبب، وحملت بعيسى عليه السلام بدون ملامسة، وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وقصة أهل الكهف الّذين مكثوا في الكهف ثلاث مائة وتسع سنين.

فالكرامات تنبئ عن إخلاص واستقامة سلوكيات أصحابها، وهي صفات تتجلى استثناء عند الممثلين السنة النبوية، على عكس ما يلاحظ عند المشعوذين، الّذين تشبثوا بالبدع وأساليب الدجال[1].

وقد عرفت الكرامة لغة": على انها اسم مشتق من الكرم دال على علو القدر، والمنزلة والميل للعطاء والإكرام، والكرامة صفة دالة على الزيادة والفضل وحب الخير، فالكرامة اسم جامع لمعنى الفضائل الخلقية وجمعها مكارم والكرامات [2].

أما اصطلاحا :"فالكرامة تعرف أنها ما يكرم الله به، وخاصة أولياء من جلائل المزايا وشرائف العطايا مما تقتضيه حكمة العليا وتتفضل به رحمته الأزلية"[3].

فالكرامة هو ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوة النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان وعمل النبوة يكون معجزة الّتي تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء وكما تكون للأنبياء ولا يكون للأولياء معجزة.

فكرامات الأولياء ما يكرمهم الله به في الدنيا من إجابة الدعوة، وتكثير القليل من الطعام. فما من أمة إلاّ ولها رجال مقدسون تقام لهم الأعياد، والمواليد وتقوم إليهم القرابين والموائد،

---

[1] Haouari , touati entre dieu et les hommes, p 151.

[2] أم الخير، شتاتحة زيارة الأضرحة وآثارها في إعادة تشكل الوعي الجمعي، دراسة ميدانية لضريح سيدي عطاء الله، ببلدية تاجموت ولاية الأغواط، مذكر محملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010،ص50.

[3] محمد فريد وجدي، الإسلام في عصر العلم ، ص 569.

وتبنى على قبورهم النصب والشواهد. ويقصدونها في الملمات والشدائد وتروى لهم عن عجائب الخوارق وغرائب الكرامات[1] .

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من أن يطير شخص في الهواء، أو يمشي في ماء وغيرها من الأمور الخارقة للعادة، فهذه الخوارق تكون للمنافقين وأهل البدع والشياطين. بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم، ويعرفون بنور الإيمان، والقرآن وشرائع الإسلام الظاهرة وحقائقه الباطنة.

وإذا أردنا تتبع هذه الكرامات سنجد الكثير من القصص في السنة ومن بينها قوله صلى الله عليه وسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه" لقد كان فيما قبلكم في الأمم ناس محدثون، فإن كان في أمتي أحد فإنه عمر "،وما رواه البخاري والمسلم قصة سعد ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، الّذي كان مجاب الدعوة إذا دعا لشخص أصابته تلك الدعوة، وان دعا على شخص ظالم أصابته تلك الدعوة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا سعد بن أبي وقاص وقال:" اللهم أجب دعوته، فكانت دعوته مستجابة وقصته الّتي دعا فيها رجل كاذب بقوله:" اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قم رياء وسمعه فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن" وكان هذا الرجل يقول بعد ذلك شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد[2].

ومثلما تطرقنا إلى أمثلة في القرآن والسنة، هناك أمثلة عن كرامات الأولياء ، وعلى سبيل المثال لا تخلو أي قرية من قرى القبائل من زاوية "**ثمعمرث**" فإنها أيضا لا تخلو أي زاوية من ولي أسس لوجودها وحملت اسمه، وعلى غرار الزوايا الأخرى فلزاوية سيدي اذريس أيضا ولي تنسب له ، وهو الشيخ سيدي أوذريس، ولكل ولي كرامات تثبت ولائه، فبمجرد ما يحل

[1] المرجع السابق ،ص 577.
[2] حديث رواه البخاري ومسلم، نظر عزالدين بلبق، مناهج الصالحين، ط3 ، دار الفتح، بيروت، 1982،ص 220.

الولي من مكان ما يصبح ذلك المكان مباركا فإن لمس شجرة أصبحت مباركة، وغدت من ثمارها المدينة كلها، وحتى الأضرحة والمقامات المباركة، فالدعاء عندها مستجاب أو الأخذ من ترابها يشفي المرضى ويعيد النظر، كل هذا أو غيره كرامات تعرف تقريبا عند جميع الأولياء وسيدي أوذريس كباقي الأولياء له كراماته، خاصة الّتي استطعنا الحصول عليها من أفواه بعض الرواة. و متداولة بين سكان المنطقة ومن بين هذه الكرامات:

ثعوينت ن وذريس:

ويعتبر هذا العين المركز الثاني للزيارة بعد زيارة الضريح، ولكونه امتداد الأماكن، الّتي توجد فيها البركة الولي وحسب الرواية أن أوذريس لما وصل إلى هذه المنطقة لم توجد فيها ماء، و بواسطة ضربة بعصاه في الأرض فجر ماء[1] .

ثماذاغان ن وذريس:

والّتي توجد في قرية أبا ينو وهي شجرة مقدسة تنسب إلى ولي أوذريس، تسمى **ثماذاغان ن و ذريس،** هي الشجرة الّتي ارتاح عندها الولي لما مر بقبيلة "**أث يمال**" وكما قيل أن عمر الشجرة يقدر بعدة قرون. والمعروف على ها النوع من الأشجار أنه لا يتجاوز مترين، بينما طول هذه الأخيرة تتعدى مترين، كما أن جذعها عريض جدا. وكما يقال أن هذا النمو الفريد يعود إلى بركة الولي، ومنه أصبحت شجرة مقدسة تمارس فيها شعائر تهدف إلى الحفاظ عليها وتحميها من تكسير. وتروي شهادات أنّ الحمى أصابت أشخاص مسوا الشجرة، وحاولوا تكسيرها لمدة يوم كامل[2].

أجلاب ن وذريس (جلاب وذريس):

[1] رواية شيخ الزاوية، ويمكن العودة إلى محند أكلي حديبي، ص 59.
[2] ينظر محند أكلي حديبي، ص 59.

وهي قطعة من القماش بالية ذات لون بني فاتح، ملفوف في قماش حديث العهد، وأصفر اللون موضوع في صندوق خشبي، وتستند هذه إلى الجلابة الّتي يلبسها الولي. وتقوم الأسطورة إنها منحت من قبل الولي تقدير لاستقبال الجدير الّذي حضي به لدى سيدا يدعى سي علي من عرش "أث يمال". بعدما رفض أهل القرية إيواءه وهذا الأخير رغم فقره، ورغم أنه لم يجد ما يقدمه له ذهب إلى جيرانه ليسلف شيئا من الدقيق واللحم ولما رأى اوذريس حسن الضيافة هذه وضع يده على طبق الكسكس وقطع اللحم، فتضاعف الغذاء بحيث استفادت من الوليمة القرى المجاورة. وعند رحيله قطع الولي قطعة قماش من جلابه وتركها عند "أث سي علي" مجازة له.

ومنذ ذلك الوقت بقيت قطعة القماش محفوظة مع احترام وصايا الولي، الّتي تمنع أفراد الأسرة عرضها وإخراجها من المسكن دون تقديم أضحية. يسمى المسكن الّذي توجد فيه قطعة قماش "أخام أوذريس" " مسكن أوذريس" والّذي يعد أيضا مكانا مقدسا [1] .

ثزروط ن زيت(الحجر التي ترشح زيتا):

وهي حجرة توجد في قرية "ثال إيغانيمان" " من قبيلة " أث يمال" والّتي توجد فيها الأحد براهين وذريس، وهي "ثزروط نزيت". وتروي الأسطورة أنها حجرة ضربها الولي بعصاه خلال خلاف تقسيم أراضي "أث يمال" نشب مع ولي أخر من منطقة سيدي محند القاضي، وهي حجرة يسيل منها سائل لازج يشبه الزيت، و هي موضع مقدس يقصده الزوار ويقومون فيه شعائر تتمثل في إشعال الشموع وتعليق الخيوط تقطعها النساء من أحزمتهن[2].

لقصاط ن وذريس (جرة وذريس):

[1] ينظر المرجع السابق، ص 61.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 62.

وهي جرة كبيرة في قرية" إيعياطن" من عرش "أث وغليس" وهي مخصصة لعصور العصور من منتوج الزيت، من ثرى" تلوقادي"، و"ثاوريرث إيعياطن"،تحرص الجرة امرأة من "إحموشن"، كما تسلم الهبات، وترشد الزوار خلال زيارتهم، وتكون الجرة نفسها تحت حماية الولي، وتروي حارستها أنها رأت الجرة يوما تنقلب دون أن تسيل منها نقطة واحدة من الزيت. وتروي أن وذريس أيقضها ذات ليلة من نومها، وحذرها من أربعة لصوص قد دخلوا المسكن، ونصحها بأن تأخذ البندقية وتطلق طلقتين، فاستجابت على التو هكذا فر اللصوص[1].

ومن بين الكرامات المعروفة على الشيخ الرقية الشرعية، فحسب رواية شيخ الزاوية انه كان ما أن يضع يده على المريض، ويبدأ بالرقية حتى يشفى وكأنه لم يكن فيه داء، فيعود إلى حالته الطبيعية ويرتاح نفسيا. وعلم طلبته طريقة في الرقية وفي أحد الأيام أتى مريض فطلب الشيخ من طلبته أن يرقي للمريض لكن ذلك المريض لم يشفى، وما إن وضع الشيخ وذريس يده حتى شفي، فتعجب الطلبة وسألوا الشيخ سبب عدم قدرتهم على إشفاء المريض رغم أنهم نفذوا كل ما علمهم إياه، فأجابهم الشيخ أنتم" تعلمتم رقية وذريس ولكن ليس عندكم قلب وذريس"[2].

وعل صعيد أخر فقد تبين أن من أصول أهل السنة والجماعة، الإيمان بكرامات الأولياء ولإثباتها والتصديق بها والاعتقاد أنها حق، وقد انقسم الناس في هذا الأصل إلى ثلاثة أقسام:

أ) قسم غلو في شأن كرامات وأفرطوا وتجاوزوا فيها، ألا وهم المتصوفة حيث دعوا باسم كرامة الأولياء ما هم من خصائص الله وحده، كقول بعضهم أنّ الله عبّاد ولو شاءوا من الله لا يقيم القيامة لما أقامها، وقول بعضهم لأنه يعطي في أي أراده فيقول كن فيكن...

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص63.
[2] رواية شيخ الزاوية.

إلى غير ذلك من الضلالات الواضحة و الكفريات الظاهرة الّتي يدعمها هؤلاء باسم الكرامات.

ب) قسم جفوا في شأنه وفرطوا فقاموا بإنكار الكرامة، ونفوا وقوعها وهم المعتزلة ومتأثرون بهم. وزعموا أن الخوارق لو جاز ظهورها من الأولياء لا لتبس النبي بغيره، إذ فرق ما بينهما إنما هي المعجزة وبنوا على ذلك أنه لا يجوز ظهور الخارق إلاّ للنبي.

ج)قسم أهل وسط واعتدال وهم الخيار العدول لتوسطهم بين الطرفين المذمومين، حيث ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وهو أهل السنة والجماعة فأثبتوا الكرامات للأولياء على ضوء النصوص ووقف الأدلة دون غلو أو جفاء، أو إفراط أو تفريط[1].

وفي سياق آخر يتبين من الوجهة الأدبية ، أن الكرامات تتقاطع وتتلمس بسياج القدسية، ويجعلون الإيمان بها أساس من أسس الإيمان العامة.

لاشك في أن الكرامات في الكثير من الجوانب تتشابه مع القصص الدّيني المبثوث في كتب التفسير القرآن في جوانب عديدة، فالبطل هنا وهناك خارق بقدراته وبسلوكه يهدف للهداية وينتصر على كل العقبات.

أما الخلاف الأكبر فيكمن في كون القصص الدّيني خاصا بالأنبياء فقط، أي بالرجال العظام في مجرى التاريخ الأول، ويرتبط هؤلاء الأبطال بأعمال الخلق الأول خلق العرش، خلق أول إنسان ،أول بيت الكعبة، والثابت أن غاية هذه القصص إظهار وإثبات نبوة محمد، أي تقديم النظرة الإسلامية المقدسة لخلق الكون. والجدير بالذكر هنا أن المسلم لا يشعر بأدنى غضاضة في ثنائه على هؤلاء، لأنهم يمهدون لمجيء محمد، ولأنهم مسلمون حنفاء.

[1] ينظر الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف،ص6،7.

كما نجد في الكرامات أيضا مكان للموعظة وتقديس للأسلاف والموتى فرغم شبهها القوي بهذه القصص الدّينية، والانتفاع الجم من النماذج السابقة، فهي خاصة بالأولياء، وهي المراد الّذي يضعه الصوفي لنفسه إزاء ما يميز به الله أنبياءه. فالكرامة ظاهرة اجتماعية ذات ارتباط حميم باللّغة، والتاريخ والمجتمع من جهة، فلا يخلو مجتمع من خرافاته وكراماته الخاصة الّتي توافق بنيات المجتمع وترافق تطور الفكر، وأنماط السلوك[1]. فهذه القصص تشكل ملامح ثقافية مرتبطة بالبنية المحلية، وهويته المنفتحة على التراث الإسلامي مما يعطيه صفات الإبداع والإسلام ، ولذا نجد فيها أساس الذات وإحساسا لأمة والتاريخ، وجمالية الأصالة والتواصل والصفاء. وهي نصوص لا علاقة لها بالواقع والمجتمع العقلي الروحي، لأنها صادرة عن مبدع وإنما سلوك عام يصدر عن أفراد يكونون مؤسسات اجتماعية دينية. ولذلك تبدوا معقدة من حيث مصدرها إذا تمثل حركة الفكر وقدرة التأويل الإنساني، ومكانة هذه القصص لن تزول ولا يملك أحد القدرة على تسويغ زوالها، لما لها من أبعاد حضارية إنسانية، روحية. ومن خصائصها أنها لصيقة بلغة الحياة اليومية الشعبية، ضاربة في جذورها من حيث دلالاتها الروحية[2] . وقدرتها على التأثير في العامة تبعث ماض حيا، وتظهر حاضر مشحون بالرؤى والإحساس بالواقع. بوصفه ركما من المتفرقات العديمة المعنى، وربما لم يكن هدف هذه القصص أدبيا، بقدر ما كان إعجازيا وبرهانا على الحقيقة العليا، ولون من ألوان الاخلاق الروحية، لكن هذا لا يمنع أن نرى في هذه القصص لونا من الأسطورة أحيانا، وشيء من السحر أحيانا أخرى[3]. لنصل إلى أن حضور الكرامة والوالي الصالح في حياة القبيلة والمدينة، كما تبين الشواهد والنصوص التاريخية منذ مرحلة مبكرة في الثقافة العربية الإسلامية، يدل على أن الثقافة

[1] ينظر علي عبد الزيغور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم لقطاع الوعي في الذات العربية، ط2،دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1984،ص 32،33.

[2] ينظر/حياة مسناري ،قصص الأولياء في الأوراس منطقة كيمل نموذجا، جمع ودراسة وتوثيق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، جامعة الحاج لخضر قسم اللّغة العربية، 2006،ص6.

[3] المرجع السابق،ص 26.

الدّينية حاضرة في الوجدان والمخيال الشعبي، الّذي يشكل ملجأ أمام الكوارث والمحن، وكل مجتمع حضاري كان أو ريفي تنعكس في سلوكياته نظرة القداسة للولي الصالح ويعبر عن ذلك بالتوجه الدائم بزيارة أضرحتهم، وإقامة الطقوس المختلفة الّتي نتطرق إليها في المبحث التالي.

المبحث الثالث: أبعاد الطقوس والشعائر الممارسة في مزارات الاولياء

في تعريف الطقوس Les Rites :

شغلت فكرة الخير عقل الإنسان منذ القدم، فعبر عنها من خلال الأسطورة والحكاية الخرافية، وقصص الأولياء الّتي جسد فيها هذه الفكرة بطريقة مختلفة حيث وجد في الولي نموذجا للاحتذاء ، تصلح أعماله أن تكون هدفا للمحاكاة. فأخذ يتوسل لهم ويركع أمام عتباتهم ويقدس أضرحتهم ويبني مقامات لهم، وزوايا يمارس فيها مجموعة من الشعائر والطقوس التي أصبحت بأنواعها المختلفة إحدى سمات وعادات المجتمع الأساسي التي أصبح ينظر إليها ببعد عقائدي تعبدي . وحقيقة هذه فطرة أجمع عليها الباحثون في تاريخ الأمم والحضارات "فقد وجد الإنسان منذ قدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بالإله. وفي هذا الصدد قال أحد المؤرخون :" لقد وجدت في تاريخ مدن بلا قصور، ولا مصانع و لا حصون، ولكن لم أجد أبدا مدن بلا معابد"[1].

ومع مرور الزمان وانتشار الوعي وطغيان العصرنة ظلت المعتقدات تتجذر في أعماق القرى والمداشر التي تشبثت بالعادات والتقاليد، والقيم والأعراف التي نشأت عليها والتي اكتسبوها من السابقين لهم من الآباء والأجداد. وظلت تتمتع بمرونتها بفضل حاميها الحققيين الذين يرفضون التغيير ولو جزء ضئيل منها. ومن ضمن ما يتمسك به الفرد القروي من الموروث الفكري والثقافي المعتقدات الدّينية والشعبية، والتي تعتبر حصيلة أجيال متعاقبة يضل تأثيرها كبير في كيانهم الدّاخلي، الذي يضمن لهم الاستمرار والبقاء ومن هذه المعتقدات نركز اهتمامنا على الطقوس التي تمارس في مزارات الأولياء الصالحين وعلى هذا الصعيد فإنّ

[1] حسن أحمد امين، تأملات في حقيقة أولياء الصالحين، مجلة العربي، عدد 226، رمضان، 1397هـ،ص131.

"كلمة" Rite مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus" و تعني العبادة والاحتفالات الدّينية، والعادات والتقاليد والأعراف"[1].

فالطقوس إذن تشمل كل شعائر والاحتفالات الدّينية، ومختلف العادات والتقاليد، التي يؤمن بها الناس والتي لا يمكن أن يتجاهل وجودها وتأثيرها سواء، كانت الممارسات أقوال أو أفعال.

وفي هذا الصدد نلاحظ أن مصطلح الطقس لا يعرف في حقل معرفي واحد فهو متداول عند الأنتروبولوجيين، و علماء الاجتماع وعلماء النفس، وقد جاء في قاموس الأنتروبولوجيا "أن الطقوس هي فعاليات وأعمال تقليدية لها في الأغلب علاقة بالدّين والسحر، يحدد العرف أسبابها وأغراضها، والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها. ويعتقد البدائيون أن أدائها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعة. والمعبودات وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمهم، وتجري في الطقوس فعاليات مختلفة كالرقص، وتقريب القرابين، ونحر الأضاحي وأداء الصلوات وترويد التراتيل"[2].

و لفظة الطقس تشير إلى الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة، وتنظيم نشاطاتها الاجتماعية والرمزية، وضبطها وفق شعائر منطقة في إطار احتفالي تترجمها رموز الجماعة القولية منها أو الحركية، وهذا يعني أن الطقوس تشمل كلاما يصدر من المجتمع سواء أفعال، او كلمات أو تعاويذ سحرية وممارسة دينية، والتي تمارس خاصة من طرف الفئات المسنة، وبالأخص النساء اللواتي حملنا على عاتقهن مهمة الحافظة على هذه الطقوس والشعائر وحماية العادات والتقاليد.

---

[1] Jeam maisonnerie :les rituels-1er édition ,université de France, paris, France,1988,p03.

[2] شاكر سالم، قاموس الانتروبولوجيا إنجليزي عربي،ط1، جامعة الكويت،1981،ص824.

قد تقام الطقوس في بعض المناسبات الخاصة، أو تحت طلب الأفراد والمجتمعات وقد يؤدي الطقس شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص أو مجتمع بأكمله. وتقام هذه الطقوس في أغراض مختلفة مثل: المناسبات الدّينية أو من أجل إشباع بعض الحاجات الروحية والعاطفية، أو لتعزيز الروابط الاجتماعية أو كدليل على الاحترام والطاعة أو مؤشر لبداية بعض الأحداث، أو تقام بهدف الترفيه فقط.

فالإنسان من زاوية نظر أنتروبولوجية كائن طقسي بامتياز، ومن جهة أخرى فممارسة الإنسان لا يمكن أن تكون عقلانية صرفية، فهي ليست خالية من شوائب اللاعقل، وما نسميه عقلا لا يمارس فعله ونشاطه بشكل مستقل عن العواطف والخيال، بل يمارسه في ارتباط مع الحلم والمتخيل، والصور الذهنية المائلة في أعماق اللاشعور الإنساني، وإضافة إلى ما تولده الممارسة الطقسية من معنى ثمت مميزات شكلية تساهم بدورها في تأييد الفعاليات الرمزية للطقس وتعززها، فالطقس يجري دوما ضمن زمان محدد أو على الأقل يميل إليه، حيث يرتبط بممارسة محددة مثل: بداية المراسم ونهايتها،ومن جانب أخر يجري الطقس ضمن إطار مكاني مخصوص،(فضاءات مقدسة) حيث يبقى للزمن الذي يتم إطار الطقس قيمة كبيرة، في تجييش الذاكرة وآثارها وتشحين الوجدان الجمعي، وهو ما يجعل ممارسة الطقوس والاحتفالات التي تصاحبها محطات يتزود فيها الناس بشحنات المعنى وتكسر الرتابة التي يعيشون فيها في الزمن اليومي المعتاد[1].

الطقوس الممارسة في مزارات الأولياء الصالحين:

مع بلوغ الإنسان لحظات متقدمة من التطور في مجالات البشرية والثقافية، بدأت تتأمل الكثير من عاداته المتوازنة عبر الأجيال، ضمن كيان الممارس المعبر بقدر ما عن هوية ومن ثم غدت هذه الطقوس و المعتقدات واحدة من مميزات الإنسان الشعبي، التي ربطته

[1] ينظر طقوس وجبروت الرمز 09/02/16 الصالحين Http://wwwInsaniyat.llivues,org

بفضاء الأولياء والمرابطين، وعبرت بطريقة أخر عن ميلاد إسلام شعبي ومن بين هذه الطقوس والشعائر الممارسة في مزارات الأولياء:

1 زيارة ضريح الولي : الضريح في الثقافة الشعبية ليس مجرد قبر ولي صالح، أو متصوف تقي، بل هو مؤسسة قائمة ومتعددة التخصصات تمارس وظائف متعددة على مستويات الاجتماعية والسياسية و الثقافية، ومؤسسة تجر معها التاريخ والدين والولاية الصالحة والتقاليد والعادات. ويعتبر زيارة الضريح، أو القبة، أو الزاوية، هي المكان الأول الذي يقصده الزوار باعتباره فضاء مقدس ومباركا من الله والولي. فيقصده الناس لترحم على صاحب الضريح والدعاء وطلب أمانيهم.

ومن هذا المنطق أصبح لدى الناس معتقدات عديدة ومتنوعة منها ، أن روح الميت الساكن في ضريحه، أو مرقده يمكن أن تشفيه من مرضه أو تقيه من الشر والمشاكل ،وعلى هذا الأساس إن هذه الروح تملك قوى خارقة تؤثر على الإنسان أو أنها تمثل صلة وثيقة بين الإنسان والاه. وهناك اعتقاد سائد أن البركة تنتقل من الولي إلى الضريح يسعى للحصول على قطعة من هذا القماش. ونجد البعض يأكل من ذلك التراب طلبا للشفاء[1].

من هنا جاء تقديس الإنسان لأضرحة الأولياء، فقد تجاوزت في بعض الأحيان زيارة الأضرحة، الزيارة العادية من أجل التبرك والترحم عليه، بل أصبحوا يمارسون طقوس بدعية أنتجتها المخيلة الجماعية، والتي تحولت إلى عادات متداولة يمارسها الزوار. ففي مجتمعنا اليوم وعلى الرغم من التطور التكنولوجي، الذي تشهده جوانب الحياة والمؤسسات بما في ذلك الصحية والعلاجية منها، إلا انه مازال هناك الكثير من الخرافات والبدع التي مازالت مستمرة في المجتمع القروي، وفيما يأخذ عقلية ما أنها ذات تفكير بسيط وساذج بحيث أنها تؤمن بإمكانية الشفاء، من الأمراض إذ ما قام الشخص المريض بزيارة الضريح وطلب

[1] Voir Zakaria Rhani, le chérif et la possédée saints, édition de l’ehs l’homme ,2009,p29.

الشفاء من صاحب الضريح، أو تحقيق أمنية له، أو جلب الرزق له وغيرها من المعتقدات الشائعة في مجتمعنا . وتتخذ الطريقة العلاجية المرتبطة بزيارة الأضرحة، أشكال متعددة مثل المبيت في الضريح لطلب الحاجة، من صاحبها وذبح القربان أنذر له في حالة تحقيق مطلبه، أو تزويد المياه أو شيء من هذا القبيل للضريح ثم نشر به، أو إيقاد الشموع قرب الضريح معتقدين أن هذه الطقوس العلاجية فيها البركة وسلطة القديس القادر على طرد الأرواح الشريرة فنجد بعض الزوار يضعون رأسهم تحت الغطاء الأخر الذي يغطي النعش ويبدؤون بالصراخ والبكاء[1]إلى أخره من الطرائف والأشكال المختلفة ومن بين الطقوس: وضع الراس بين شبابيك ضريح وطلب أمانيهم وطلباتهم.

1-2) شعل الشموع:

وهو نوع من التطاير والتفاؤل فهم يرون بأن بإشعال الشموع هذه يشعل الله نورهم ويضيء حياتهم ،لذا نجد أن البعض يشعل الشموع حسب عدد أفراد عائلته، ويشعل كل شمعة لكل فرد، وإذا انطفأت هذه الشمعة أو أبت الاشتعال فإنه هناك مشكلة ستواجه هذا الفرد.

1-3) الوعدة :

وهي ظاهرة احتفالية عموما نشأت كتعبير بشري،رافق الإنسانية الإكتشافية، التقريبية والتعبدية، للطلبة، وهذا الطقس يوصف عموما كحالة استجابة تكييفية وتوافقية بين الإنسان والبيئة الاجتماعية و الطبيعية ومنها أصبحت الوعدة في شكلها الأول من أشكال التعامل الأسطوري مع الطبيعة، الهادفة للحفاظ على الخصوبة التي تشكل أساسا التواجد والاستمرار الطبيعي، والإنساني. فقد كانت الطبيعة موضوع أولا للعبادة، ليتحول الولي إلى هذه العبادات وتصبح معه طقوسات الوعدة اليوم كلحظة مهمة للقاء والاحتفال والتقديس بمجاله الضريحي

[1] VOIR Zakaria Rhani, le chérif et la possédée saints, P40..

فالوعدة ظاهرة طقسية واحتفالية تتخذ من الضريح و قبور الأولياء و مكان للإقامة الأضاحي كقربان حيواني، في مقابل قبول أو تحقيق المرجوات التي يهدف إليها المحتفلون. فهذه الوعدة نشأت كعادة طقسية فرضتها ظروف جمعية مشتركة وتواصل ذلك إلى اليوم. و أصبحت مع الزمن عادة جماعية ثقافية ودينية تميز هذه القبيلة بجملة من الأفعال والطقوس والممارسات التي تشكل اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية، يستمد من خلالها قوته وتماسكه وهويته في الوجود [1].

وفي هذه الوعدة تقوم حشود من النّاس في مهرجان نسوي بزيارة الزاوية والمقام للقيام بوليمة أخذين معهم الدجاج و الماعز والضأن، أو لحم البقر حسب ثروة الشخص الذي يضحي بينما يجلب الفقراء الشموع وبعض الطعام من شعير وقمح، ومبالغ مالية ويأكلون ذلك الطعام قرب ضريح الولي. وتقام هذه الوعدة إذا حلت مصائب عامة أو حالة جفاف، تضرعا للولي أن يحل ببركته ليبارك الأرض ويجعلها خصبة[2].

ففي ممارسة طقوسيتها نوع من الإشباع لحاجات روحية وسيكولوجية ومادية وغيرها، وحاولوا إبراء المرض من خلال طقس الزيارة والتخلص من سوء الطالع محاولين تجاوز اضطرابات الوضع الاجتماعي والاقتصادي إلى البحث عن بديل في ثنايا الأضرحة واحتفالياتها لأجل تحقيق نوع من الطمأنينة والراحة والفرج ولو ضرفيا.

1-4) الحضرة والجدب:

إلى جانب الوعدة التي يجتمعوا فيها جماعات مختلفة، ومن بين الطقوس المعروفة في كل المزارات والتي لها شهرة كبيرة خاصة في المجتمع القبائلي. الحضرة والتي تغنى فيها المدائح النبوية والأذكار، والتي تصل في أغلب الأحيان إلى درجة "الجديب" والذي

[1] ينظرن بوشامة الهادي، الوعدة التمثل والممارسة ، دراسة انتروبولوجية، بمنطقة أولاد نهار ,www.insaniyat reveus ,org.

[2] Edmond doutte, l'islam algérien en l'an 1900, p47. F

يعتبر علاج للجنون وبعض الأمراض النفسية. والحضرة مشتقة من الحضور، لكنه حضور رمزي يتخذ شكلا نسبيا بين الحضور والغياب المرئي و اللامرئي الواقعي و المتخيل. إنه حضور محتضن لنوع من الغموض ،نظرا لتبادلات المكثفة والسريعة بين هذه الأطراف، كذلك تحتاج إلى فضاء ومكان قدسي يلفه وتضمن تواصله. لهذا السبب تستوجب الحضرة دائرة منسوجة ومخطوطة بأجساد الحاضرين والمتفرجين[1].

1-5-زيارة الأماكن وتقديس الأشياء التي تعود إلى الولي:

إضافة إلى الطقوس السابقة فهناك بعض العادات والممارسات التي تمارسها النساء خاصة عند زيارة الضريح مثل: الدخول بالخلف والدخول بالرجل اليمنى، ومسح برداء الولي "أرْذَى" وصلاة ركعتين قبل الدعاء. فمجمل الرؤى الشعبية في مزارات الأولياء تتفق إلى حد بعيد في اعتبار هذا الولي كمركز مقدس وضريحه كمنطقة مركزية في حلقات تواصلها وتدينها الشعبي. وبتالي تصبح الحاجة للوسيط والبحث عن الطمأنينة والراحة في لحظة تواجد هؤلاء خلال الطقوس في أضرحة الأولياء والتي يعبر عنها بهذه الطقوس.

الطقوس الممارسة في زاوية سيدي أودريس.

وبما أننا أخدينا من الزاوية العامرة سيدي أوذريس أنموذجا سنحاول رصد بعض وأهم الطقوس التي تمارس في هذه الزاوية، باعتبارها كبقية الزوايا لها وليها الخاص الذي ميزه الله بكرامات جعلته يرقى بمكانة خاصة في المنطقة وخارجها. فقدسوه وقدسوا كل ما هو مرتبط به وباسمه في حياته، ولم تقل أهميتها بعد وفاته، حيث ظلوا يمارسون مجموعة من الطقوس والممارسات في الزاوية وحتى خارجها،ومن بين هذه الطقوس التي تمارس داخل الزاوية، نجد إشعال الشموع وزيارة الضريح والطواف حوله ووضع القماش عليه فحسب ما لحظناه في زيارتنا المتعددة إلى الزاوية وخاصة من قبل النساء فبمجرد وصول الزوار إلى الزاوية

[1] أم الخير شتاتحة، زيارة الأضرحة وأثرها في إعادة تشكل الوعي الجمعي،ص 123.

يتوجهون إلى الغرفة التي يوجد فيها الضريح، وبعد خلع أحذيتهن في الخارج تدخل إلى الداخل فتقوم بعضهن بوضع القماش فوق الضريح بعد ما أن تمسح به وجههن، وهناك من يتوجه إلى الصندوق الحديدي الموضوع في الغرفة، ويضعن النقود بداخله ثم، تقمن بالطواف حول الضريح سبع مرات، حيث يأتي الخادم في الزاوية ليحضر لهن الكسكس وبعد الانتهاء من الأكل تتوجهن إلى الغرفة المقابلة، وهي غرفة خاصة بشعل الشموع والدعاء دون الإفصاح برغبتهن، وهناك اللواتي يقمن بصلاة ركعتين ومن فترة لأخرى نسمع زغاريد وبعد الانتهاء من هذه الطقوس يجلسن ويدخلن في علاقات تعارف ودردشة. وهناك من النساء اللواتي أتين حامين قارورات الماء لطلب الرقية من شيخ الزاوية، وعندما سألتهن عن سبب إذا كان المرض أو الممارسة فقط تعددت الأجوبة فهناك من يطلب الرقية لأسباب مرضية،و هناك من يطلبها فقط لراحة نفسية والتخلص من القلق خاصة باعتبار أن أفضل كرامة للولي هي الرقية، التي ظلت متداولة من بعد وفاته، حيث تعلمها الخلف عن السلف وهناك من يرقى فقط لتبرك بهذا الماء المبارك.

ومن جهة أخرى، وإن أستجيبت دعوة عائلة ما، تعود مرة ثانية ليقدموا الوعدة التي توعدوا بها إذا قبلت دعائهم. فيحضر البعض الكباش، وهناك من يأتي بنقود أو القماش أو لوازم الأكل كالزيت والخضر والخبز...إلخ. كل حسب قدراته الخاصة، وحسب ما رواه الشيخ أنه إن أتى أحد بالضحية صدقة في سبيل الله يتقبلونها بينما، إذا أحضرها كقربان فإنهم لا يقبلونها ويرفضون الآن ما أحل لغير الله فهو حرام. فما يكون مقصود للولي بحد ذاته غير مقبول. كما أنه قد أصبحت تمنع مجموعة من الطقوس البدعية والمحرمة. فأصبح يرفض إدخال البندير إلى الزاوية ويرفض ممارسة تلك الحفلات والجديب، باعتباره مكان مقدس وكل ما يقبل داخل هذه الزاوية هي توعية الناس و تخليصهم من الجهل والعادات الغير المرغوبة فيها.

1) ثعوينت ن وذريس:

عند الوصول إلى الحوض، تحيط النساء مع اطفالهن وتمارس طقس يسمى" أقسام" ويتمثل في تعين أمنية وإلقاء قطعة نقدية في وسط الحوض وانتظار "جواب الولي" إذا تكونت فقاعات في المكان الذي ألقيت القطعة النقدية ترتل زغاريد ، تصاحبها تعليقات تؤكد، أن الولي قد سمع امنيات النساء وعبر عن إرادته في الاستجابة لها. وفي الحالة المعاكسة تجدد النساء العملية حتى تتحققن ما يردن، وهكذا تبقى النساء واقعات وبعضهن جالسات في صمت تام، مدة خمسة عشر ثانية وكل عيونهن مركزة على الحوض في انتظار ظهور فقاعات[1].

2) العلاج بالجديب:

وهي ممارسة قديمة وتمثل الحضرة باعتبارها ممارسة من بين الممارسات التي تقع في وذريس، وهي إحدى الأحداث التي تحض باهتمام كبير والتي تندرج ضمن مدار علاجي خاص للمرضى المسكونين، والتي تستدعي مشاركة كل الحاضرين من المنشطين الذين يتقنون حلقات الذكر، والذين يضربون البندير إضافة إلى الزائرين الذين قدموا من قبائل مختلفة. وهكذا يتحرك القائمون بالذكر على إيقاع صوته ورجع الكلمات التي يكررها ويحددون النغم المناسب، فهم يتبعون في الواقع صوته في بطئه وتسارعه والأغاني ظلت متأثرة بالطريقة الرحمانية، سواء من حيث مضمونها أو ذكرها للأولياء الصالحين، وهذه الأذكار تكون مقرونة إلى الموسيقى ومن بين تلك الأذكار:

ياقدرة الأولياء إمنحينا علاجا

إمنحينا علاجا

ياسيدي عبد الرحمان إمحي خطينا ا

[1] ينظر، محمد أكلي حديبي،ص50.

وياقدرة الأولياء أعطينا لواء

ياسيدي عبد الرحمان لا تتخلى عنا.

وهكذا يطلب من الأولياء أن يشفوا المجانين، وبلوغ مرحلة الانخراط في الجديب تختلف من شخص لأخر، وهناك من ينخرطون فيها كلما يستمعون إلى إيقاع الذكر، بينما ينخرط فيه الآخرون بفضل تشجيعات الحضور الذين يأخذونهم من الأيدي أو الأكتاف، ويحاولون تحريكهم، لكن رغم ذلك لا يبلغون الحالة المنتظرة ،بينما يحصل ذلك لدى البعض عن طريق الاستجابة للجن وآخر بالرقص والحركات المختلفة فلكل إيقاعه الخاص[1].

وفي الأخير فإن هذا النوع من الممارسات قد رفضت في الزاوية في الوقت الراهن، نظرا لقداسة المكان كونها مدرسة لتحفيظ القرآن، واعتبار أن كل ما تجاوز ذلك عبارة عن خرافة وبدع، ومن بينها هذا الجذيب فكان يمارس في الماضي فقط.

وكما قلنا سابقا انه لا ينحصر فضاء القداسة عند حدود زاوية و ذريس أو ما جاورها بل يمتد إلى فضاء جغرافي أوسع يغطي موضع إقامة قبيلتي "أث يمال" و"أث وغليس"، تتركز في هاتين القبيلتين محطات القداسة، حيث تتوزع البركة حول أشياء تعود إلى الولي ،و أماكن مر بها وأشاء أخرى، خاصة من أجل رعاية الثروات المخصصة للزاوية ومن بين هذه الأماكن التي تمارس فيها الطقوس نجد:

ثماذاغث ن وذريس:

وهي شجرة مقدسة بقرية أبانيو " بأث يمال" والتي أصبحت موضوع ممارسة شعائر وزيارات خيرية تقوم بها النساء، حيث يشعلن الشموع حولها، ويضعن قرب جذع

[1] ينظر، المرجع السابق ،ص273/272.

الشجرة بعض قطع من النقود بمثابة وعدة، ويقدمن أمنياتهن على أمل أن نصل إلى مسامع الولي ويستجيب لها[1].

أجلاب ن وذريس:

وهي قطعة قماش من جلابة وذريس وتزوره النساء لإبعاد الجنون بمسح وجوههن بقطعة القماش ثم يحضرن البخور، وهي عادة تتمثل في إشعال النار التي تحرق فيها مادة تسمى "الجاوي" تطلق دخانا ورائحة زكية ثم تخرجن قطعة القماش الملفوفة وتمررنها مرات عديدة فوق الدخان، قبل أن يمسحن بها وجوههن، وهن يتمنين الأماني في سرية تامة ثم يقدمن هدية للمكان سواء دراهم أو شمعة[2].

ثازروت الزيت:

وهي حجرة توجد في مدخل قرية "ثالة ايغانيمن" في قبيلة "أث يمال" وهذه الحجرة موضع مقدس يقصده الزوار ويقومون فيه بشعائر تتمثل في إشعال الشموع وتعليق خيوط تقطعها النساء من أحزمتهن[3].

لقصاط ن وذريس:

ويأتي الزوار أحيانا إلا المعصرة لأسباب عديدة مثل: علاج الصداع الرأس وصب قليل من الزيت من جرة وذريس على رأس المريض[4].

الاحتفال بعاشوراء:

[1] ينظر المرجع السابق ، محند أكلي حديبي ،ص 60.
[2] ينظر المرجع نفسه ،ص 61.
[3] ينظر المرجع نفسه،ص 62.
[4] ينظر المرجع نفسه،ص63.

ومن بين المناسبات التي يحتفل بها في الزوايا عامة، وزاوية وذريس خاصة المولد النبوي حيث تستقبل الزاوية الزوار خاصة من المناطق المجاورة، يقوم طلبة الزاوية بتحضير مجموعة من النشاطات الفكرية والدينية والثقافية،وإلى جانب المولد النبوي الشريف هناك مناسبة أخرى لها شهرة كبيرة في زاوية وذريس وهي عاشوراء "ثاعشورث" وهي العيد الثالث في الإسلام، والتي أسس من قبل الرسول(ص) يوم وصوله إلى المدينة، وتتميز هذه المناسبة في منطقة القبائل بجملة من الممنوعات منها: منع الممارسات الجنسية والأعمال المنزلية وطحن القمح وغسل الملابس وكنس القاذورات ومنع أخذ الزينة ووضع الحناء ومن لا يحترم هذه الممنوعات فإنه سيصاب بقية حياته باضطرابات عصبية، وتعتبر يوم عاشوراء يوم فرح وليس يوم حزن لذا يستغل الناس هذا اليوم على التنظيم الزيارات للمزارات والأضرحة والأقارب، وتقاسم الوجبات معهم في جو احتفالي. وزاوية وذريس هي إحدى الزوايا التي لها شعبية كبيرة، في استقبال حشود الجماهير إلى درجة الاختناق حيث لا تجد مكان للوقوف ويكون أغلب الزوار من النساء وما يلاحظ أن الحركة في هدا اليوم داخل الزاوية ، لا تتوقف داخل الضريح والطواف حوله، أما فيما يخص الحضرة فإنها لا تتم أصلا فما يقومون به مجرد زيارة عادية و تسلية واحتفال، فهي سياحة أكثر منها زيارة.

البعد النفسي لهذه الطقوس:

تزداد ضغوطات الحياة الاجتماعية والقلق النفسي الذي ينتاب الروح، وعند زيارة هذه الأماكن المقدسة وأداء هذه الطقوس يشعر الفرد بالهدوء، وينتقل من حالة اليأس إلى حالة أمل. فبالنسبة لهم هذه الممارسات تؤدي بهم إلى حالة من الهدوء والسكينة، حيث أنه يشعر في حالة تواصل مع الولي ويؤمن أن طلباته مسموعة، خاصة عند ما يتعلق الأمر بتلك الأشياء التي لا يمكن أن يصرحوا بها، والتي تحرمها الموانع الاجتماعية المحزنة في الأعماق، أو الأمور التي يخجل من ذكرها ويفضح عنها، أي هذا المكان يمكنهم أن يقولوا

دون أن يقولوا، فتعرف روحهم الراحة ويعرف النور طريق قلوبهم. كما أن هذه الممارسات يجدون فيها حلا للمشاكل الاضطراب النفسي نتيجة السيطرة على الحياة المادية وعلى العقول والأفكار.

ورغم أن هذه الطقوس بما هو نشاط رمزي وجسدي معا، يوفر للأجساد مجالات لتفريغ المكبوتات وتصعيد الضغوطات وتسريح الجوانب الكثيرة من الرغبات الدقيقة.

البعد الاجتماعي للطقوس:

تعتبر الزاوية "ثيمعمرث" مركز للعالم الذي يشد عالم المجتمع ونظمه انطلاقا منه. فقد أصبحت تمثل الزاوية مصدر البركة ومنع الطاقة الخلاقة.

كما تعتبر الزاوية وهذه الطقوس فرصة لإقامة علاقات جديدة بين الزوار الذين يأتون من مناطق مختلفة.

ومن خلال هذه الاحتفالات وشعائر يمكن للمجتمع أن يتجاوز صرامة الرقابة الاجتماعية التي، تمارس على الجماعات والأفراد، وتحقق قدرا كبيرا من السكينة تخفف عن التوترات الفردية والاجتماعية،وتملئ الفراغات الناجمة عن تجربتهم الجماعية فالانخراط في هذه الممارسات الطقوسية وخاصة الدّينية منها شبيهة بضرب من العلاج التطهري، فهذه الممارسات مجالات لتفريغ المكبوتات والحفاظ على التوازن السيكولوجي، والتغيرات العميقة والسريعة التي خلقت اختلالات وتمزقات عديدة.

إضافة إلى أن هذه الأماكن تعيد الاعتبار النفسي لمهمشي النظام الاجتماعي، حيث يرون أنفسهم سواسية وليس وحدهم الّذين يعانون من مشاكل وامراض. فمعظم الذين يزورن هذه الامكنة تكون سببها للرغبة في الشفاء، ووجود علة المرض، سواء كانت خارجية كالإعاقة، أو داخلية نفسية أو عقلية. فلا يرون أنفسهم مهمشين، ويرون أنهم مثلهم مثل غيرهم.

فالطقوس أفعال تترجم حاجات وأفكار مكبوتة في اللاشعور واللاوعي الجمعي، فالاحتفال الجمعي يحي في الفرد قوة خلاقة، تجعله يتجاوز حوادث فردية. وهذه الطقوس تثبت أن في عمق الذات الفردية ذات جماعية كامنة، تجعلها هذه الممارسة الخلاقة تستفيق، فيمكن تأكيد أن هذه الطقوس تأخذ دورا بناء في حياة الجماعة الأهلية، لتأكيد لأنها توفر لممارستها نوعا من الشعور لا تسطيع رتابة الحياة اليومية أن تعطيهم إياه، أذ يساعدها على الانفلات من خطيئة الزمن، والاختلالات فتذيبها وتفرض منطقها على الجميع.

وثمة حقيقة يجب تأكيدها وهي أن الممارسات الطقسية ليس ضربا من الترف الفكري الذي تؤديه فئات تعيش أوضاعا اجتماعية مرتبكة أو مرضية، وهي أيضا ليس ممارسة فوضوية مفرغة من المعنى، إنما هي فعل جماعي يتوهج بالمعنى، بالنسبة لمن يراقبه سوسيولوجيا كان أم أنتروبولوجيا.

الفصل الثّاني :

دراسة فنية لبعض الأشعار الممارسة في "زاوية سيدي وذريس"

الأدب هو المرآة العاكسة لحياة الشعوب إذ يشكل الثقافة والتراث الإنساني، إذ تجد عند كل الشعوب أدبا يؤسس وجوده الذاتي لأنه من خصوصيات الشعوب ما أدى إلى إصدار كافة أشكال التعبير الإنساني.

هذا ما عرفته الساحة الأدبية الأمازيغية مؤخرا، حركة أدبية ملحوظة، وظهر عندها ضرورة الوعي الكتابي الإبداعي، وباعتبار الإنسان الأمازيغي فردا في المجتمع أعطى اهتماما كبيرا الإبداع واستمد مادته من الثقافة التي ينقلها من مختلف الأجناس البشرية والشعرية في التي يكتسبها هذا الإنسان كالموسيقى والرقص والحكاية والثقافة التي تتسم بالتعدد والتنوع، وقد تعددت الأغراض والنصوص الشعرية التي قيلت في مختلف الظروف بالرغم من الاحتلالات والاستعمارات ولم تصل إلينا إلا القليل.

ومن بين الأغراض الشائعة، نجد الموضوعات الدينية من تصوف وزهد ومدح الرسول (ص) والأولياء الصالحين، والدعاء والموت والغربة والفقر. فتركت الحضارة الأمازيغية بصمة إنتاجها عند الثقافات الأخرى، عن طريق الاحتكاك والمتاجرة في الأسواق ، الذي اعتبر ملتقى جميع الشعراء رغم تفاوت المستوى الفني بينهم.

ولا شك أن بلاد الأمازيغ ذات ثقافة شفوية معتبرة وعبقرية شعبية ، استطاعت أن تستلهم من خلال ما تمر به يوميا من آلام وأمال أدبا وشعرا.

هكذا خلقت العبقرية الشعبية، بالأمازيغية القصيدة الثورية والقصيدة البطولية، وعدت حلقات للقوالين وفجرت غنائية المداحين ،وعلى الأساس وحده يمكن فهم التصور المذهل للشعر الشعبي ، ففي كثير من الاحيان كان المحارب شاعرا و شاعر محاربا متمردا من أمثال

الشيخ السماتي، وسمحند أو محند أن نجدهم يواكبون كل مراحل تطور المجتمع في انتكاساتهم وانتفاضاتهم وتحولاتهم.[1]

فيكفي لمن يريد في الحاضر أن يعرف حياة المجتمع القديم، وطريقة عيشهم والمشاكل التي عانوا منها والتي ألفها هذا الوعي الشعبي البدائي، فهي بمثابة قاموس جامع.

وإذا كنا اليوم نفتقد إلى مدونات موثقة من إبداعاتهم تلك، فإن الذاكرة الجماعية تحفظ الكثير من العبارات والأقوال والأمثال والأشعار، التي ارتبطت عادة بالطقوس التي تمارسها هذه الفئات الشعبية، فما نلاحظه أن الشعر الشفوي شعر طقسي ولا يكاد يوجد وجودا مستقلا عن الوضعيات الطقسية، التي يصاحبها فلا يمكن أن تنشد امرأة "هدهدة" إذ لم يمكن في حجرها طفل يريد أن ينام. وقس على ذلك مما يجعلنا ننظر حتما إلى تلك الأشعار على أنها جزء من الحياة الخاصة تلك الحياة التي ترى في الإنشاد جزء من العمل.

إن هذه الفطرة "الأنثروبولوجيا"، لا تعني أن الجانب الجمالي مفقود في تلك الأشعار بل يعني فقط الغنائية الأولى ليست الترف الفطري، فالشعر هنا صوت بدائي يعيد الجماعة إلى كينونتها فهو لا يمكن إلا أهبه أو تنهيدة، أو في شكل تعويذة في وجه الأقدار أو مناجاة للنفس الحائرة، وهنا يأخذ الطقس دوره في محاولة إنشاد الفرد المتسلب من مكابدات الأيام.[2]

فقد كان لهذه الطقوس والممارسات دورا مهما في حياة الإنسان التقليدي، وكانت جزء من عاداته وتقاليده على مر الزمان والمكان ،فهذه الطقوس التي تشير إليها بالنسبة إلى القبائل التقليدية، تلقى كل مظاهر الحياة وتحضر في كل محطات دورة الحياة من الولادة إلى الموت. فللعمل طقوس وللميلاد طقوس والزواج طقوسه والأولياء طقوسه، وكل هذه

1 - ينظر ، حميد بوحبيب، الغجري الاخير ، دراسة نقدية تحليلية لسعر سي محند أو محند د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

2 - ينظر ،حميد بوحبيب، الأشكال الشعرية والبنيات الاجتماعية، ص 238.

الممارسات الطقسية تصحبها مقاطع شعرية والقول لا كرافد لغوي فقط، بل كإنجاز صوتي خاص فالكلمة تعْوِيذة ،و تميمة ، فال ،وطيرة ،وبركة.[1]

وقد تعددت أغراض الشعر الأمازيغي بتعدد الطقوس التي تصاحبها من شعر الأمومة المرتبط بعالم الطفولة والأشعار التي تقال في أوقات العمل من حصاد وزرع وتويزة وجني الزيتون ، والذي يؤدي من طرف الرجال والنساء. باعتباره فرصة ساذجة بلإفصاح عن المكبوتات، وشعر مؤدى في الأفراح، كالزواج والخطبة والميلاد والختان، وشعر سياسي الذي يعبر عن الانشغالات الكبرى الحاسمة، والتي تتعلق بأفاق ومستقبل المجتمع والذي يتغير مضمونه وشكله باختلاف الرهانات التاريخية السياسية والثقافية، والذي لعب دور هاما في بلورة هذا الوعي إضاقة إلى شعر الغزل أو ما يسمى بالقبائلية "إيزلي" والشعر الاجتماعي الذي يتناول عموما الشؤون الاجتماعية بمختلف جوانبها، والشعر الديني الذي يمكن القول أنه الأكثر انتشارا، باعتباره أقدم الأنواع المعروفة في منطقة القبائل، كما أنه مؤشر لثقافة الدينية.

ونحن في صدد الحديث عن الطقوس الممارسة في مزارات الأولياء، سنحاول أن نحصر بحثا عن الأشعار التي ترافق هذه الطقوس، والتي تقال في المزارات وكما قلنا أنفا أن هذه الطقوس وهؤلاء الاولياء وهذه الاماكن كلها ذات صبغة دينية، فبالضرورة سوف تميل هذه الأشعار والأذكار التي تتماشى مع تلك الطقوس إلى الطابع الديني، وكما هو معروف أن الشعر الديني تفرعت منه عدة أغراض من مدح ورثاء والصلاة على النبي والأذكار.

وسنحاول أن نعرض بعض الأشعار المعروفة والمتداولة في زاوية "سيدي وذريس" من مدح وذكر وقصص ديني.

1 - ينظر، المرجع السابق، ص 239.

أ) المديح :

يعد هذا النوع من بين الأنواع الشعرية الدينية، التي احتلت مكانة في ظل الحقل الثقافي الأمازيغي، وقد عرف المجتمع القبائلي إنتاجا شعريا متميزا ومتنوعا، لأنه نابع من ممارسات دينية التي تقام في عدة أماكن مثل الأغاني المديح والذكر التي تشتهر به الزوايا.

جاء الإسلام بمجموعة من القيم، التي كانت محتاجة إلى من يتغنى بها و يؤكدوها وهذا ما دفع شعراء المديح النبوي في مدحهم للنبي صلى الله عليه وسلم على تعداد صفاته الخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع ذكر معجزاته والثناء عليه والصلاة عليه.[1]

الشعر الديني خاص بوصف حياة الرسول (ص) والإشادة بفضائله وأعماله المجيدة، فعبر الشاعر عن هذه الصفات، وقد انقسم هذا النوع إلى نوعين : في مدح الرسول (ص) والأولياء، وقد حقق شعر المديح النبوي تطورا ملحوظا في البيئة الأمازيغية فقد كثر شعراء المديح النبوي، وكثرت القصائد في شأنه.[2]

وهذه الأبيات أحسن دليل:

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي أَرِنِيغْ سِيدنا نوح	أصلي عليك أيها النبي على سيدنا نوح
نُومَنْ سْلاَ أَلَهْ الا الله اخْلْقَنْ الْطُوفَانْ اَرُوحْ	أيها النبي سنجدك سندا اما في الدنيا سنرحل
أَنْبِي اَكْنَفْ ذَ مْوَنَسْ وَمَاقَدونيثْ أَنْرُوحْ	

1 - بن مهدي رشيدة، الفقيرات بمنطقة أولاد ريح، دراسة تاريخية وفنية، مذكرة تجرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الموسيقى الجزائري، جامعة بكر بلقايد تلمسان، 2011،ص 14.

2 -ينظر، هنادي أحمد جميل بيطار، شعر المديح النبوي تطوره وخصائصه، مذكرة تخرج انيل شهادة الماجستير،2005.

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي عَبْدَغْكْ أَسُوقَسْ
كَنَخكْ أَمَيورْ لْعِيذْ مِزْلِيغْ ثَفُونَسْثْ
سَلْمِي فْرَسُول الله فَطِيمَة تَرْوَس

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي عَبْدَغْكْ عَامين
كَنَخكْ أَمَيورْ لْعِيذْ مِزْلِنْ أكْرارَنْ
سَلْمِي فْرَسُول الله علِي جبْرَايَنْ

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي ضزِيضَنْ قْمْي أَمُوذِي
إِقَشْبَحْ وَسْنِي إِ دْلُولَضْ لَمْلُوكَ بْذَنَتْ أَصَلِي
أَنْبِي أَكْنَفْ ذَمْوَنَس قَصِرَاطْ مَرَنْعَدِ

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي ضَزِيضَنْ قْمْي أَمْثَمَمْث
إِقَشْبَحْ وَسْنِي إِ دْلُولَضْ لحوارث سْلَولِيَونْتْ
أَنْبِي أَكْنَفْ ذَمْوَنَس فَلِي مَدَغُلقْ ثَمْذَلْتْ

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي عَبْدَغْكْ سْلَعْفُو
إِرْبَحْ وْي صَلَنْ فَلاَكْ مَيَرْنَ إِقَنْ سْلُوظو
أَنْبِي أَكْنَفْ ذَمْوَنَسْ قَخَمْ أُرْنَسْعِ أُوسُو

****

أضْصَلِيغْ فَلاَكْ أَنْبِي عَبْدَغْكْ سْعَشْرةٌ
إِرْبَحْ وْي صَلَنْ فَلاَكْ مَيَرْنَ ثَصْفَا انيا
أَنْبِي أَكْنَفْ ذَمْوَنَسْ إِيضْ لْعثابْ لأوزكَا[1].

منا بالله الأحد الذي منح للرضيع الروح

****

أصلي عليك أيها النبي عبدتك عام
أحسبك قمر العيد عندما ذبحت بقرة
سلامي على الرسول الله فاطمة واولادها

****

أصلي عليك أيها النبي عبدتك عامين
أحسبك كقمر العيد الذي يذبحون له كباش
سلم لي على الرسول وعلي وجبريل

****

أصلي عليك أيها النبي حلو المذاق كالزبدة
جميل اليوم الذي ولدت فيه والملوك يصلون
يا نبي سنجدك انسا يوم الذي نحاسب فيه

****

أصلي عليك أيها النبي حلو المذاق كالعسل
جميل اليوم الذي ولدت وحور العين يزغردن
يا نبي سنجدك انسا في القبر عندما يغلق

****

أصلي عليك أيها النبي عبدتك بالعفو
فاز من صلى عليك خاصة اذا نام بالوضوء
يا نبي سنجدك انسا في البيت بدون فراش

اصلي عليك يارسول عبدتك بعشرة
فاز من صلى عليك خاصة اذا كان صافي نية

1 - السيدة ايت خداش حسينة، أمالو.

	يانبي سنجدك أنيسا ليلة عذاب القبر

تمثل هذه الأبيات إحدى الأدلة التي تبين مدى تشبع المجتمع القبائلي بالثقافة الدينية الإسلامية ، ومدى تعلقهم بالرسول (ص) وتؤكد أن المعرفة القبائلية بالدين الإسلامي كاملا ومتكاملا في هذه المقاطع لتعبير عن الشوق لرؤية الرسول (ص) والطمع لرؤيته يوم القيامة، والكشف عن الخوف ومناجاة الرسول (ص) بصدق والخوف الرهيب الذي تملكه في القبر وعبور الصراط المستقيم، واستعطاف الرسول(ص) ليكون وسيلة الحماية من ذلك الفزع، بالإضافة إلى مدح الرسول(ص) في هذه المقاطع مشيرا الى خصاله وصفاته الحميدة كتشبيهه بالقمر ، الزبدة العسل، والرسول (ص) هو خير الخلق فباستطاعته أن يرأف بالعباد يوم الواقعة، ويبث فيهم الرحمة والمغفرة.

من الناحية الفنية: القصيدة سباعية حيث تتكون من سبع مقاطع، وكل مقطع يحتوي على ثلاثة أشطر ولكل مقطع قافيته الخاصة ورويه وهي على النحو التالي:

المقطع الأول :	المقطع الثالث :
ح ←	ن ←
ح ←	ن ←
ح ←	ن ←
المقطع الثاني :	المقطع الرابع :
س ←	ي ←
س ←	ي ←
س ←	ي ←
المقطع الخامس:	المقطع السادس:

ت ← ← و

ت ← ← و

ت ← ← و

وهذه المقاطع استطاعت أن تحافظ على إيقاعها الموسيقي، الذي ترك جرسا خاصا ورونقا جميلا مميزا في أذان السامعين.

أما من جانب اللّغة بين أن معظم الشعراء تأثروا بالمعجم الديني لاسيما لغة القرآن الكريم. حيث اقتبس الكثير من الالفاظ والعبارات مثل:

(سيدنا نوح، الخالق، فناء، الحياة، جبريل، صراط، القبر، الحور...). ونجد أن اللّغة مألوفة بعيدة عن الغرابة، تمتاز بالوضوح والعمق، وغنية بالرموز في نفس الوقت. فقد وضفت ألفاظ عامة ومعروفة في متناول الجمع، لأنها ذات طابع ديني تساير الموضوع والمضمون الطاغي على القصيدة وهذه بعض منها: قدورنيث أنروح توحي إلى ← الفناء قخام أرنسعي أوسو ← توحي إلى القبر أيضا بعتاب أو زكا توحي إلى حياة الأخرة. ▼

-الصور:

استخدم معظم شعراء المديح عدة صور وضحوا أفكارهم وعواطفهم وفي هذه المقاطع نجد:

الصورة الشعرية	شرحها	نوعها
أميور لعيد مثل قمر العيد	تشبيه الرسول (ص) بالقمر العيد الذي ينتظره الناس بفارغ الصبر	تشبيه: المشبه هو الرسول(ص) المشبه به العيد، اداة التشبيه مثل، وجه الشبه النور المضيء
ضَزِضَنْ قمِي لأمُوذِي حل والمذاق كالزبدة	تشبيه الرسول (ص) بالزبدة وحلو المذاق.	تشبيه: المشبه هو الرسول(ص) المشبه به الزبدة، الاداة التشبيه الحلاوة يعني حلاوة الكلام.
قصِرَاط مَرىَ نْعَدِي	هنا دعوة إلى حضور الرسول(ص) وأن	كناية عن الفزع والخوف يوم

عبور صراط المستقيم	يصاحبهم للشفاعة	الحساب.
فلي مَدَقَلْ ثَمْذَلْتْ	هنا أيضا دعوة إلى الرسول(ص) يوم وضعه في القبر.	كناية عن القبر الموحش.
قَخَامْ أرنَسْغِي أُسُو	القبر الذي لا فراشا له ،فالقبر فراشه تراب وغطاء تراب والكفن.	كناية عن مصير الإنسان والحياة الأخرة.

فعبر نافذة الذاكرة الشعبية، ومن خلال ألفاظها العفوية أطلت صور بيانية ذات أبعاد بعيدة ومعان عميقة، لا يدرك معناها الحقيقي إلا العارف الحقيقي بالدين والشريعة الإسلامية.

وفي هذه المقاطع يظهر الاقتباس أو التناص من القرآن، في كلمة البقرة وعلى هذه الأساس أمر الله بني إسرائيل بذبح بقرة.

وفي قوله تعالى:" وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"[1].

التكرار:

للتكرار أهمية في الأسلوب، فهو يقوي النغم الموسيقي ويوضح المعنى ويؤكده ومن الامثلة: أصلي عليك، أحسبك، سنجدك، قمر و لا نجد المدح مخصص للأنبياء فقط بل تعدى ذلك إلى مدح أولاد وأقارب الأنبياء وأصحابه المقربين ،وهذا ما يدعم قولنا السابق، أن منطقة القبائل متشعبة بالعقيدة الإسلامية وهذه الأبيات في مدح لالة فاطمة بنت النبي (ص) تبين ذلك:

1 - سورة البقرة، الآية 67.

"لالة فاطمة أُتُنْبِي ثُلِيدْ قَلْجَمَعْ ثَسْبُورِدْ أحَايَكَ أَلَحْرِيرْ أذْمِسْ إِلَمَعْ أَوِزْرَنْ أَودَمْ نْزِيزِمْ قْثَقْنِيتْ نَشْفَعْ ********** لالة فاطمة أُتُنْبِي ثُلِيدْ ذْوَزْنِيقْ ثَسْبُورَدْ أحَايَكَ أَلَحْرِيرْ أُذْمِسْ إِتْرَقْرِقْ أَوِزْرَنْ أَودَمْ نْزِيزِمْ قْثَقَنِيتْ نَدِيقْ"[1]	فاطمة بنت النبي صعدت من حي الجامع مغطاة بحايك الحرير ووجهها يلمع يا ليت من يرى وجه أبيك في لحظة الشفاعة ********** فاطمة بنت النبي صعدت من حي مغطاة بحايك الحرير ووجهها يرقرق يا ليت من يرى وجه أبيك في لحظة الضيق

"مدح الأولياء الصالحين:

تطرقنا في المباحث السابقة إلى المكانة التي يحتلها الأولياء في منطقة القبائل ، والعقلية الشعبية التي أمنت بهم فتألقت مخيلتهم لإنشاء قصائد في مدح والتضرع إليهم، من أولياء وأعلام الزوايا ومشايخها وربما هذا إن دل على شيء فهي تدل على الورع الديني الذي تميز به المجتمع القبائلي ومن بين هذه الأشعار التي نسجت في هذا المجال التي نجدها تمدح الولي سيذي وذريس:

"غَنِيمْتْ أَلْخَالَتْ غَنِيمْتْ غَنِيمْتْ سَفْرُومَتْ أُولَمَا غَنَغْ يَذْوَنَتْ أَيَلنيوْ تْرُومْتْ	غنوا يا نساء وافصحوا غنوا حتى ولو غنيت معكن والدمع سائل

[1] ـ السيدة حسينة من امالو.

أَدَنْزُرْ سيدِي وَذْرِيسْ نَتَانْ ذْلْبَازْ بُوثْرَ قْبُونْتْ	لزيارة سيدي وذريس هو الباز الجميل
**********	**********
غَنِيمْتْ أَلْخَالَتْ غَنِيمْتْ غَنِيمْتْ سْوَاسْوَا	غنوا يا نساء غنوا غنوا بالتساوي
أُوَلَمَا غَنَغْ يَذْوَنَتْ أُلِيوْ يَتْهَنَى	حتى ولو غنيت معكن قلبي لم يتهني
أَدَنْزُرْ سيدِي وَذْرِيسْ ْلْبَازْ نَصْيَدَى	لزيارة سيدي وذريس نسر الصيادة
**********	**********
غَنِيمْتْ أَلْخَالَتْ غَنِيمْتْ غَنِيمْتْ سْلَعياَلضْ	غنوا يا نساء غنوا غنوا بالجهر
أُوَلَمَا غَنَغْ يَذْوَنَتْ أُلِيوْ ضَصمَضْ	حتى ولو غنيت معكن قلبي بارد
أَدَنْزُرْ سيدِي وَذْرِيسْ ْلْبَازْ اشْمَمَضْ"[1]	لزيارة سيدي وذريس نسر الزاهي

وإذا تمعنا النظر في هذه الأبيات، وما تحملها ألفاظها من معاني نجد فيها وصف وتشبيه الولي بالرمز الحيواني ألا وهو الطير، وعند ذكر كلمة طير سرعان ما يتبادر في الأذهان تلك الألوان الزاهية، وهناك دلالات متعددة ترمز لها الطيور كالإقدام والشموخ نجد الباز التي ترمز إلى السمو والرفعة ومن القيم الإنسانية للخير، والتي تقتصر على المخلوقات الخارقة كما يمكن أن ترتبط الطيور بالأولياء الصالحين لعلو مرتبتهم وشعبيتهم، فكثيرا ما كان يرمز إلى الولي وذريس بالباز كما ورد في هذه المقاطع وكما هو معروف له مرتبته وكونه صاحب علم ودين يقصده جميع الناس لتبرك به. كما يرد النسر دليل عن البصيرة والفطنة والنبل وهي صفات كلها تتلاءم مع الولي الصالح.

1- نفس السيدة.

ونظرا للأهمية التي يتمتع بها أولئك الأولياء الصالحين، فقد أصبحت تقدس أضرحتهم، لأنهم يعتبرونها بيتا من بيوت الله، حيث يتلى القرآن ويذكر اسم الله فيها، ولهذا نجد الكثير يذكر أشعار أثناء ممارسات تلك الطقوس العقائدية ومن بين الأبيات التي تشرح ذلك:

الوعدة

"تكي أبْغِيغْ أَضْرُوحَغْ ادزُرَغْ سَنِيَا	أنا أنوي الذهاب للزيارة
أَذْشَعْلَغْ تِشَمَاعِينْ أضْصَفْضَغْ سَرْدَى	وأشعل الشموع وامسح بالرداء
مَا يَهْلَكْ يَوَنْ أذْيَحْلُو جَبْرَانَ دشَفُعا	إذا مرض أحد سيشفى بالشفاعة
أهنَ لَخْوَاطَرْ هَلْكَنْ سَوَ رَبِي ذْشْفَا[1]	والخواطر مريضة سوى ربي الشافي

وفي هذه الأسطر يظهر جليا شدة تمسك المجتمع القبائلي بهده الطقوس، و إيمانهم بها وزيارة الأضرحة والتبرك منها وطلب الرزق والعون، وتقول سنوسي صليحة:" إن الوعدة ظاهرة اجتماعية وسياسية يتم خلالها عرض كل القضايا من زواج وطلاق وبيع وشراء، وفصل المنازعات بين الأعراض ليلبث فيها أهل الحل والعقد وكبار الشيوخ، كما أنها ظاهرة اقتصادية وثقافية باعتبارها مناسبة للبيع والشراء حيث تقام سوق لهذا الغرض، تعرض فيها المنتجات ويستمع الناس إلى الغناء والشعر الشعبي، ويشاهدون عروض الفروسية وهو موعد سنوي وفي مكان محدد يتلقى الناس وهم عادة من أعراش وقبائل تنتمي إلى ولي صالح، يتبركون به أو يحيون السنة الجد الأكبر تكريما له .[2]

1- السيدة حسينة.

2 - يوسف العرفي، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان، دراسة أثنوغرافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012،ص 28.

فالوعدة إذن من أهم المظاهر الاجتماعية والاقتصادية التي لها انتشارا واسعا في أي منطقة من المناطق القبائلية.

بإضافة إلى تبيان الأيام المفضلة لزيارة وأسباب الزيارة:

"نِكِي أضرُوحَغْ أدْزُورَغْ قشهر نْتَفْسُويثْ أرسيذي وَذْرِسْ اسَنْ نْتْعَاشُورْثْ أدْنَوِي اْبَرَكَة فُمَغْبُونْ أَلْدي تَبُوْرْثْ وِهَلْكَنْ نْشَاء الله أدْيَحْلُو فَلاَسْ أَذُفْرَار تَقُورثْ لْمُوثْ ذَلْوَجَبْ ألْمُومنين غَلْجَنَثْ انَلْدِي تَبُورثْ"[1]	أنا أذهب للزيارة في شهر الربيع إلى سيدي وذريس وأزور يوم عاشوراء للحصول البركة وعلى المسكين يفتح الأبواب والذي مرض إن شاء الله سيشفى وتفتح الابواب الموت واجبة للمؤمنين في الجنة تفتح الابواب.

وهنا نجد أن هناك أيام وشهور مخصصة للزيارة، وذكر الشهر العاشوراء التي ورد فضلها في القرآن الكريم، وماله من فضل على الأيام الاخرى ، والزيارة تكون بعد انقضاء فصل الشتاء الذي يستعصي العبور للزيارة لكثرة الثلوج، وفي هذا اليوم تقام حفلة كبيرة في زاوية "سيدي وذريس" ويتجه إليها أناس من مناطق مختلفة، وتقدم الوليمة والطعام، وكل الزوار يحصلون على البركة خاصة المساكين والمرضى.

باعتبار عاشوراء مذكورة في القرآن الكريم، وهذا ما أدى إلى اختيار هذا اليوم بالذات للقيام بالزيارة لهذه المناسبة موسم الخيرات، التي اصطفاها الله لتخصيص للعبادة، ومن أفضل أيام السنة الهجرية الذي وقع فيه حوادث توبة أدم يقول تعالى: " فتلقى أدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه التواب الرحيم"[2]. وعن موسم أنه قال :"رب أني ظلمت نفسي فاغفري لي"[3].

---

[1]- نفس السيدة.

2 -سورة البقرة، الآية 37.

3 سورة الاعراف، الآية 17.

وهناك من تعدى احترام الأولياء والولاء لهم والتضرع بهم، إلى حد الشرك بالإله والإيمان بالسحرة والمشعوذين وهذه الأبيات توضح ذلك:

""يَمَا أعْزِيزَنْ أَيَمَا نَكِي أُورْنُمِينْ سْرَبِي	يا أمي العزيزة أنا لم أؤمن بربي
إضَفْرَغْ قْدَرْوِشَنْ عَلْقَغْ لَحْرُوزْ أُورْنَلْهِي	تبعت المشعوذين وقمت بتعليق الحرز
أضْرُوحَغْ غَسِيدِي وذْرِيسْ رُقْيَيْنَسْ إِذَلْعَالِي	سأذهب لزيارة سيدي وذريس رقيته هي الأحسن
**********	**********
""يَمَا أعْزِيزَنْ أَيَمَا نَكِي أُورْنُمِينْ سقَسَامْ	يا أمي العزيزة أنا لم أؤمن بالقسام
إضَفْرَغْ قْدَرْوِشَنْ ثَتَغْ اكْسُمْ امَزْغَنْ	تبعت المشعوذين وأكلت لحم الغير
أدْزُرَغْ سِيدِي وذْرِيسْ باب البورهان يقوان	سأزور سيدي وذريس ذو البرهان القوي
إِفَغرَنْ سِتيَنْ حزب إيمَالْ إبَرْذَنْ يَلَهانْ	الذي تعلم ستين حزب يملي الطريق الصحيح
إِنَبْغَا ذَدَعْوَى لَخِير أدِسَحْلَو وِضْرُورَنْ"[1]	نريد دعوة الخير وشفاء المرض."

في هذه المقاطع ذكرت أخطر الكبائر التي يجدر على المسلم أن يحذر من اقترافها، ألا وهو الشرك بالله تعالى، ومن اقترف هذا الذنب لا يعفو الله لقوله تعالى:" إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مات دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما[2] وفي قوله أيضا:" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار".[3]

وهذا أمر قد عم وانتشر انتشارا واسعا، وشد الرحال والذهاب إلى أصحاب السحر والشعوذة والاستعانة بهم، إلى حد العبادة ونجد النساء الأكثر تعلقا بهم ، فما أن تحل مصيبة وتواجهن مشكلة إلا وجدن السبيل إلى هذه الأمور، وهذا ما تشرحه المقاطع عن الشخصية المشركة بالله والتوجه نحو السحرة لحل عقدتها باستخدام الحرز ولباسها، تزعم أنها تدفع عنها الشر

1 - رواية السيدة حسينة.
2 - سورة النساء، الآية 48.
3- سورة المائدة، الآية 72.

وتقيها من العين وغير ذلك، وفي الاخير سئمت منهم وقررت اللجوء إلى زيارة الولي الصالح ليعالجها بالرقية الشرعية وبأسماء الله أو بصفاته، أو بقراءة القرآن فكله جائز، ويجب الابتعاد عن السحرة والكهنة وما يصاحبها من شرك وما ينجم من بعد عن الله والطريق المستقيم.

أما الناحية الشكلية لهذه المقاطع، نجدها تختلف نوعا ما حيث انقسم إلى مقطعين.

احتوى المقطع الأول على ثلاثة أشطر تنتهي بنفس القافية والروي على النحو التالي:

المقطع الأول : ←ي

←ي

←ي

بينما تضمن المقطع الثاني في خمسة أشطر، الشطر الأول رويه الخاص بينما نجده مشترك مع الأشطر المتبقية، وكانت على نفس الإيقاع الموسيقي وكانت كالأتي:

المقطع الأول : ←ن

←ن

←ن

←ن

←ن

وهذا الاختلاف في عدد الأشطر دليل على تذبذب والقلق، الذي ينتاب نفسية المشرك، فأتت هذه المقاطع متلائمة تراعي تلك الحالة، ورغم التغيير الطفيف في القافية وعدد

الأشطر، إلا أنها ظلت متمسكة بالوحدة الموضوعية، حيث تطرقت إلى معالجة موضوع واحد، وهو الدعوة إلى تجنب الشرك بالله واللجوء للاستعانة بالله عز وجل والتبرك و الطلب الشفاء من الأولياء الصالحين.

وزيارة الأولياء وهذه الأماكن المقدسة تجلب نوعا من الراحة النفسية وشيء من السكينة للقلوب المضطربة، فهؤلاء الأولياء الذين اصطفاهم الله من بين العامة بفضل جلاء أعمالهم لحسن نيتهم وإيمانهم القوى والزهد في الحياة، و يمثلون وساطة بين هذه النفوس الهائمة الخائفة، التي تستنجد وتحتاج إلى الراحة والسكينة، فتحولت أضرحتهم إلى ملجأ لكل مريض ومأوى أمن ومستقر لكل خائف ومضطرب وهذه القصيدة الطويلة نوعا تبين ذلك:

"لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ أَلُوطَا أَدَنْزُورْ سيدي وذريس إشُدَنْ أَعْمَامْ لْفَطَا إنَبْغضا ذَدَعْوى لْخيرْ مَرَدِكْشَمْ قَلْخَلْوى ********** لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ نْتَجْنَانْتْ أردنزور سيدي عبد الرحمان أَتَرْكِي إشُدنْ ثعْمَمْتْ إنَبْغَا ذَدَعْوى لْخيرْ مَرَدِكْشَمْ قَثْنَوَنْتْ ********** لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ نْتَغَلْتِينْ أَدَنْزُورْ سيدي وذريس وِينْ يَسْعَانْ ثِعْوِنِينْ إنَبْغَا ذَدَعْوى لْخيرْ مَدِحَرَبِ فْثْغرِينْ ********** لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ إِشَلَطَنْ أَدَنْزُورْ سيدي وذريس بُولَعْيَونْ إبَرْكَنَنْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق الساحل لزيارة سيدي وذريس الذي وضع عمامة الفظة نتمنى دعوة الخير عند دخوله الخلوة. ********** أمانة أيها الطائر أعبر طريق الحديقة لزيارة سيدي عبد الرحمان التركي الذي وضع عمامة نتمنى دعوة الخير عند دخول المطبخ. ********** أمانة أيها الطائر أعبر طريق الجهات لزيارة سيدي وذريس الذي لديه نبع ماء نتمن دعوة الخير عند دفاعه عن المهاجرات.. ********** أمانة أيها الطائر أعبر طريق إشلاظَنْ لزيارة سيدي وذريس ذو العيون السوداء

أغَسْ لإوْمَغْبُون أفوسٌ صَفْضَصْ إمَطَوَنْ	وامسك بيد المسكين وامسح عنه الدموع.
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ إقَاوَوَنْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق إقَاوَاوَنْ
أَدَنْزُورْ سيدي وذريس نَتَا إذَوَلِي إفَازَنْ	لزيارة سيدي وذريس الولي الفائز
إنَبْغَا ذَدَعْوى لْخيرْ طَلْبَة مَتْكَرِيرِصنْ	نتمن دعوة الخير عند تلاوة الطلبة القرآن
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ إعَزُوقَنْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق إعزوقنْ
أولَمَا يَكَتْ وذْفَلْ لإدُورَارْ ذِمَلاَلَنْ	حتى ولو نزلت الثلوج والجبال بيضاء
أَدَنْزُورْ سيدي وذريس عبد الرحمان قَرَسَنْ	لزيارة سيدي وذريس وعبدالرحمان بينهم..
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ نْتِيزِي	أمانة أيها الطائر أعبر طريق نتيزي
أَدَنْزُورْ سيدي وذريس نَتَا إذِزَمْ أوَحْشِيْ	لزيارة سيدي وذريس الأسد الوحشي
إنَبْغَا ذَدَعْوى لْخيرْ وِينْ إقَنْوَن يَوي	نتمن دعوة الخير والذي نوى أخذ
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ إيلولَنْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق لإيلولة
أَدَنْزُورْ سيدي وذريس إلَسَنْ ابَرْنُوسْ مَلُولَنْ	لزيارة سيدي وذريس ذو البرنوس الأبيض
أَنَوِي لْبَرَكَة دَلْقَاوِي وِي كِيزُورَنْ	نتمن دعوة الخير وقوى الذي قام بزيارتك
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ نَتْ يَجَرْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق أَتْ يَجَرْ
أَدَنْزُورْ سيدي وذريس أدَ نَرْنُو طُولَتُ لَعْمَرْ	لزيارة سيدي وذريس لزيادة طول العمر
أدْ نَنْفَقْ إ يَمْشَاشِينْ لوحيذْ انَفْطَرْ	ننفق لقططه ولنتغذى سوية.
**********	**********
لَمَانْ أَطِيرْ لَمَانَة تْكَض ذُوبْرِيذْ أَمَلاَلْ	أمانة أيها الطائر أعبر طريق الابيض.

أَدَنْزُورْ سيدي وذريس نَتَا إِذِ سَلْطَانْ لَخْوَانْ إِحُونَنْ اَرَبِي فَلاَسْ لإِقَبْدَ وَوَل"[1]	لزيارة سيدي وذريس سلطن الأخوان يحن الله وعليه انتهى القول."

هذه القصيدة قامت بتصوير شخصية كئيبة ومحبوسة عن الوجود، ووجدت من الطير خير رفيق لتشكو إليه هموم الغربة عن الوطن، وما تختلجها من نوازع وصراعات داخلية متناقضة، فهذه الشخصية أسقطت إحساسها ومشاعرها على هذا الطائر، وهي في حالة مناجاة الطائر والكشف عن حنينه وشوقه التي تعاني منها الشخصية، والكشف عن حالته النفسية بعد أن انقطعت خيوط التواصل مع موطنه، خاصة في زيارة بعض المناطق والاماكن المقدسة التي يستقي منها قوته وبركته، وهنا منفصل عن زيارة "سيدي وذريس" فيحاور الطائر الذي يصعد محلقا الفضاء، ويستطيع أن يجوب جميع الأوطان والقرى التي تحيط وتجاور زاوية "سيدي وذريس".

ونجد الشخصية تلتمس وترجو من الطير لزيارة الزاوية، على حد القول "أمانة أيها الطير" ونجد أنها ذكرت تلك المناطق التي يشتاق إليها (إشلاطن، أبريذ ألوطا، إقاواون، إعزوقن...) فكل ما يتمناه هذا الشّخص ويحلم بأن يرى هذه المنطق وزيارة الولي سيدي وذريس والتبرك ببركته وطلب المساعدة لشفاء المرض...، فدعوته مقبولة من عند الله تعالى ومن شدة تعظيم الولي جاءت هذه المقاطع عن وصف وتشبيه الوالي بأحلى وأسمى الصفات، في قوله (بلعيون إبركانن، الولي إفازن ، إزم). أما الناحية الشكلية في القصيدة :

نلاحظ أنها قصيدة عشرية لأنها تحتوي على عشرة مقاطع، وكل مقطع يحتوي على ثلاثة أشطر، فهي قائمة على نظام الأشطر، وما يخص الإيقاع الموسيقي كل مقطع متفرد بحرف روي، بالرغم من أن هناك بعض المقاطع التي يعاد فيها حرف الروي وهي كتالي :

1 -رواية نفس السيدة .

المقطع الأول :

ى

ى

ى

المقطع الثالث والرابع والخامس والثامن:

ن

ن

ن

المقطع العاشر:

ل

ل

ل

المقطع الثاني :

ت

ت

ت

المقطع التاسع :

ر

ر

ر

بالرغم من اختلاف المقاطع في الحروف، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على تماسك إيقاعها الموسيقي المرن.

أما الناحية الموضوعية فنجدها حافظت على وحدة الموضوع، فكل مقطع يحتوي على نفس الغرض وجاءت على طريقة ومنوال واحد، بحيث يأتي الشطر الأول فيها دعوة للطائر لسلك طريق معين، وهي عبارة عن أزمة تكررت في جميع المقاطع، والتي تدل على الإلحاح والطلب بشدة ،ويأتي الشطر الثاني في طلب زيارة سيدي وذريس ومدحه وتشبيهه بإحدى الصفات المميزة، ويأتي الشطر الثالث كتوضيح وتبيان غرض الزيارة من تبرك وثناء ودعوة الخير والشفاء...

أما فيما يخص اللّغة فقد جاءت سلسلة وبعيدة عن الغموض والالتباس، وجاءت الألفاظ والعبارات في متناول الجميع ومالت إلى الطابع الديني، التي طغت على الجانب الفكري والروحي لأولئك الزوار والتي جاءت بأسلوب خبري وصفي.

-الرمز ودلالته:

يتوفر النص على مجموعة من الرموز، وقد وجدنا أنه حافل بمفردات من الطبيعة لترمز إلى حالات انفعالية يعيشها هذا الإنسان، أبْرِيذْ أَلُوطَا، طريق الساحل) وأبريذ نْتجنانت، طريق الحديقة، وطريق الجهات= و أبْرِيذْ أمَلاَلْ... وهو معجم الطبيعة، الساحل، يرمز إلى الحرية المطلقة، الحديقة ترمز إلى شم رائحة الأهل والديار، وقد وضفت بعض الإيحاءات والرموز لإيصال فكر تلك الشخصية عبر الطائر ومن بينها التي نقوم بتفكيكها في هذا الجدول:

الألفاظ والعبارات	الرمز والإيحاء	نوعه
ألفظا	ترمز إلى المكان والمنزلة ومن العناصر الثمينة، والتألق والبريق والقيمة التي حضي بها الولي	معنوي
لعيون إبَرْكَانَنْ	رمز الجمال وعن النور التي يتمتع بها الولي وعن البصيرة والفطنة	معنوي
إزم أوحشي	ترمز إلى الشجاعة والإقدام والصفات النبيلة التي يتجلى بها الولي والهيبة والاحترام	معنوي
سلطان لَخْوَانْ	يرمز إلى العظمة والشموخ والولاء والسلام والمنزلة الرفيعة التي يرقى بها الولي.	معنوي

أبرنوس ملولن	عن الأخلاق والنية الصافية والشهامة والعزة	معنوي

وذكر أيضا لونين في هذه المقاطع وهما الأسود والأبيض وهنا يمكن القول أنه اقتباس من القرآن أيضا:

الأسود يرمز إلى الخوف والوقار عند بعض النّاس مثل سيدي وذريس والأسود رمز في القرآن الكريم عن وجود أهل النار لقوله تعالى:" وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم لعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون"[1].

والأبيض عن النقاء والطهارة والبراءة والصدق ويطلق من به خصال حميدة مثل الأنبياء، والأولياء لقوله تعالى:" حتى يتبين الخط الأبيض من الأسود من الفجر"[2].

كما نلاحظ، اقتباس بعض الألفاظ، أو يمكن العثور عليها في قاموس اللّغة العربية: الخير، الدعوى، البركة، طول العمر، سلطان، الأخوان....) كما يمكن أن تدرجها تحت الغرض الديني للقصيدة.

-الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية من الخيال الذي يضيف على القصيدة عنصرا جماليا، إذ تساهم في نقل المعاني ومشاركتها بالموسيقى، إذ لجأ في البيت الأول إلى توظيف الصورة الشعرية، فالقصيدة حافلة ببعض منها من تشبيهات واستعارات وكنايات التي يوضحها الجدول:

الصورة الشعرية	شرحها	نوعها

1 - سورة أل عمران، الآية106.
2 - سورة البقرة، الآية 187.

إشدن أعمام	شبه الولي بالسلطان العظيم الذي يضع غلى رأسه تاج ثمين وذات قيمة	كناية عن صفة الرفعة والعظمة والمنزلة
أتركي شدن ثعمامت	تشبيه الولي عبد الرحمان بالأتراك الذين يتميزون بوضع عمامة يلبسونها في الديوان تسمى خرطاوى عندهم (في لغتهم)	المشبه: الولي عبد ال رحمان المشبه به: التركي، أداة :مثل، وجه الشبع: الحكم والولاء
إزم أوحشي	تشبيه الولي بالأسد الذي تهابه الخلائق، وهو رمز السيادة والسلطة ورجل ذو هيبة.	المشبه: الولي سيدي ، المشبه به: الأسد، الأداة : مثل وجد الشبه: :الهيئة والاحترام
إلسن أبرنوس ملولن	تشبيه الولي بالحاج الذي يلبس اللون الأبيض المتميز عن هيبة الرجل وأصالته.	كناية عن التوبة والطهلرة والصفاء.

أما المحسنات اللفظية غير متوفرة مقارنة بالبيان، حيث انحصر في الجناس ناقس، إيلولن، ملولن.

أما بالنسبة للحروف وأصواتها التي تصاحب نغما معينا، ونجد اللام صوت مجهور، انفجاري يوافق المعاناة و محاولة التخلص من الأحزان والياء عن قوة الشاعر وتمسكه بالوطن، ولك يستعمل للنداء والتوسل إلى الطائر عسى أن يخفف من معاناته، وهذا الدليل على كرب تلك الشخصية وحاجة الملحة.

كما نصادف بعض الحروف التي يمكن أن نجدها باللّغة الأجنبية:

الحرف	ما يقابله باللّغة الابجدية	أمثلة	معانى باللغة ةالعربية
ب	حرف شفوي هـ V بالفرنسية	أبريد	الطريق
ق	شفوي لحويGW بالفرنسية	قرسن	بينهم
ك	لثوي K بالفرنسية	يكث	ينزل

فقد اقتصر المديح على الرسول(ص) والأولياء الصالحين والصحابة والتابعين عن جميع الشعراء في وصف صفاتهم وأخلاقهم وحسن أعمالهم.

-الذكر الديني:

هو إحدى الأنماط الشعرية المعروفة في منطقة القبائل، وسمي الذكر لأنه يوثق الصلة والعلاقة الروحية بين العبد والخالق، وقد تعددت أغراض الذكر والموضوعات ذاتها بتعدد المشاكل التي يعاني منها الفرد، والأمور التي شغلت تفكيره من موت وصحة ومرض ورغبة في التوبة، فالذكر الديني يؤدي في مناسبات مختلفة وأخص الموت التي تمثل إحدى العناصر المشكلة لدورة حياة الإنسان، والتي شغلت تفكيره على الدوام، فهي الشيء الوحيد الذي لا يمكن الفرار منه أو تجنبه وهو الشيء الذي يوحد الجميع، فمهما كانت قيمته وعزه وثراءه فإن الموت جزاءه ومأواه ولا يمكن للجاه ان يمنعه.

" أذَكَرْ لاَخَرثْ، أي ذكر الاخرة وهو مجموعة من أبيات شعرية توقظ الأحاسيس بشكل صارخ فتستحضر الدموع في أن واحد فتصف بكلماتها خوف المعاناة من عذاب القبر حينا، وتوسلا بالظفر بحياة هادئة طيبة في الجنة، وانفطار الأفئدة المحترقة لتذكر الموت"[1]

ولهذا فقد نسجت في الموضوع عدة مقاطع وذكار من بينها:

الموث(الموت)

" أَتَيَا لْمُوثْ أتَيَاَ غَطْهُور.	أتت الموت أتت في وقت الظهر
أُورْدَ صْطَبْطَبْ لورْدسْتَقَسَا لأُيْدَوَرَ لْفضطُورْ	لم تدق ولم تسأل ولم تأتي بالفطور
ثَرْوِيحْثْ أتْيَاوي بَا بِيس لْتَجَا قَلْقَعَا ثَجورْ	الروح يأخذها مولاها والجثة في الأرض صلبة

1 - خليفة زكية، الأشعار والطقوس الجنائزية بمنطقة واقنون، مقاربة أنتروبولوجية وظيفية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري، تيزي وزو، السنة الجامعة 2012/2011،ص 11.

**********	**********
" أَتَيَا لْمُوتْ أَتَيَاَ أَتَيَاَ غَلْعصَرْ.	أتت الموت أتت في وقت العصر
أُورْدَ صْطَبْطَبْ اورْدَسْتَقَسَا أُدَوَسرَ أَنْقَصَرْ	لم تدق ولم تسأل لم تأتي للمسامرة
تَرْوِيحْتْ أَتْيَوي با بِيس لْتَجَا قَلْقَعَا أدصَرْصَرْ	الروح يأخذها مولاها والجثة في الأرض تصرصر
**********	**********
" أَتَيَا لْمُوتْ أَتَيَاَ أَتَيَاَ غَلْعِشَاء.	أتت الموت أتت في وقت العشاء
أُورْدَ صْطَبْطَبْ اورْدَسْتَقَسَا أُيدَوَرَ لَهْدِيا	لم تدق ولم تسأل لم تأتي بالهدية
تَرْوِيحْتْ أَتْيَوي بِايس لتجا قَلْقَعَا"[1]	الروح يأخذها مولاها والجثة في الأرض

هذه المقاطع تحدثت عن فكرة الموت التي تأتي في كل الأوقات فليس لها وقت مخصص ومعين ولا يعطي خبرا قبل مجيئها، كما تبين أن الروح التي يأخذها الله من حقه فهو الذي يعطيها ويأخذها.

فقد تجلت مفردات وتراكيب خاصة التي اكتسبت دلالات عبرت عن الموت من معاني، الصمت، والجمود، والزوال.

أما الجانب الشكلي فهي تتألف من ثلاث مقاطع، وكل منها يتألف من ثلاث أشطر ، واتت القافية والروي على نفس الشكل، حيث وحد حرف الروي في الشطرين الأوليين بينما خالفها في الشطر الأخير، و المقاطع جاءت على هذا النحو: ←———— س

←———— س

←———— ر

1 - السيدة حسينة

وذلك لتحقيق النغم الموسيقي الذي يثير النفوس ويدفعها للتفاعل مع الجو الذي يخيم على المكان.

وليس الموت وحده الذي شغل تفكير العقل الشعبي، بل الدنيا ومعاناتها ومشاكلها أيضا، كان لها حصة من هذا التفكير فهناك من أغوته الدنيا ومتعة، ونسي أن الأخرة هي الملجأ الأخير، وهذا المقطع يشير إلى هذه الفكرة:

يقابلها بالعربية

أيول إِقَلْهَنْ ضَصبَرْ وِينْ إِكِدِ خَلْقَنْ	أيها القلب الأحسن الصبر لي خلقك
شَدَة تْتبْعيتْ لْيسَرْ ضْرَبِي إِقَتْفَرِجَنْ	الشدة تتبعها اليسر الله هو الرازق والمفرج
مَشِي ذَيَنْ أَدَحَكُوغْ قَشْهَرِ نَغْ شَهْرَيَن	لا يكفي شهر أو شهرين للحكي
لْمَكْلاَ ينُو ضَخَرُوبْ أُولاَ ذْلَجْيُوبيوْ فَرْغنْ	أكلي هو الخروب وحتى جيوبي ممزقة
إرَبِي لَحَوْجَ أَرْوَعْلُو ظْ نَتَا إِقَدَبِرِنْ	أتبع غيري الذي يدبر
نَكِي إِخَلْقِيِي ضَصَبَرْ عُوسَغْ وِينْ إِيَخَلْقَنْ	أنا خلقني صبور أنتظر من خلقني
وِينْ يبْغَنْ يَجْهَلْ يَجْهل دُونِيثْ ذَبْرِيذْ اعدنْ مَدَنْ	الذي يريد الجهل فالجهل وما الحياة إلا طريق
سِوى رَبِي إِذَشَافَعْ نتسا إِيْدِخلقَنْ	الله هو الشافع الذي خلقي
وِينْ يَبْغضنْ يوَتْ يَوَتْ ذَكْسُومْ إِتَنَنْ مدَنْ	والذي يريد أكل لحم الغير فليأكل
نكِي أذْ حَزْبَغْ إِلَخَرْثِيوْ لإِضَني وَيِوَنْسنْ	انا أخاف على أخرتي من يؤنسني تلك الليلة
ذَيي دُونيثَ وسِعَتْ ذِينَا لَحْيُو ظْ حَرْسمْ"[1]	هنا الدنيا واسعة وهناك الجدران ضيقة.

انطلاقا من هذه المقاطع، نستنتج أن هناك نوعين من البشر فئة تهتم بالدنيا وملذاتها، وأخرى تفكر في دار الاخرة والأبدية وقد احتوى هذا الذكر حكمة وموعظة على أن الدنيا فانية لأن الدنيا ذات عمر قصير ومتاع قليل، ودار لهو ولعب غرور واستمتاع وترف. وفي

1 - نفس السيدة.

قوله تعالى: "يأيها النّاس إن وعد الله حق فلا تغركم الحياة الدنيا ولا يغركم بالله الغفور"[1]. والدنيا دار لاكتساب الحسنات الطيبة لمن أمن وعمل صالحا، والاخيرة دار الحساب والجزاء ودار الحقيقة أو دار القرار، والكذاب والخسران للكافرين ونجد للإنسان المسؤول الوحيد عن مصيره المحتوم.

و هذه المقاطع تأكد أن الدنيا ابتلاء والصبر هو الموقف الكامل الذي ينبغي أن يقف المؤمن حينما يبتليه الله، من مظاهر الحرمان والفقر ولأن الصبر نصف الإيمان، وبالدعاء تحل كل الأزمات، وإن كل إنسان ممتحن فيما أعطاه الله إياه. لقوله تعالى: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والنفس والتمرات وبشر الصابرين الذين إذ أصابتهم مصيبة قالوا إنا الله وإنا إليه راجعون، أولئك عليم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون".[2]

وبما أن هذا المقطع لعب دورا هاما لمجيئه على شكل حكمة، فإن له إيقاع وجرس موسيقي لفت انتباه وجذب المستمع فأتت على إيقاع موسيقي واحد وحرف روي واحد مشترك 'ن" وهو الإيقاع المناسب لهذا النوع من الأذكار.

ومن بين المشاكل التي لم يسلم أحد منها مشاكل الصحة والمرض، حيث كلما زاد العمر زادت مشاكل العجز مما يجعل الفرد يتذمر فألف أذكار ليعبر عن معاناته ويفصح عن مكبوتاته ونجد هذه لأشطر تقول:

"تَذُوغْ أرِيفْ لَبْحَرْ أمعرقوبْ قَسْحَرِي	أمشي على شاطئ الابحر كالهائم في الصحاري
كْنِيغْ لْجَهْدِيوْ إِيرِوحْ أُولاَ تِقَشررَث ثَجَابِي	إنحنت قوتي و حتى الركبة خدعتني
وِقَرْوَنْ كْرَا أَثْيَشثِيقْ أذِقَلْ أرثِثْوَلِي	والذي شبع من شيء سيأتي يوم ولا يراه.

1سورة فاطر،الأية5.

2 -سورة اتلبقرة،الآيو155-157.

**********	**********
ثَدُوغْ أرِيفْ لَبْحَرْ أمعرقوبْ قَصَحْرِاء كْنِيغْ لْجَهْدِيوْ إِيرِوحْ أُولاَ تِقَشرَرَث ثَعْيَا وِقَرْوَنْ كْرَاَ اثْيَشثِيقْ أذِقَلْ أثِزَرا"[1]	أمشي على شاطئ الابحر كالهائم في الصحراء إنحنت قوتي و حتى الركبة تعبت والذي شبع من شيء سيأتي يوم ولا يراه

وهذه المقاطع تتحدث عن ذلك الإنسان الذي يعاني من العجز، ومرحلة الشيخوخة وهي أخر مراحل الإنسان الذي قدر له أن تتركه مرحلة القوة والنضوج، وتبدأ الوظائف الجسدية والعقلية في التدهور، عكس ما كانت عليه في الفترات السابقة والشخص المسن يشعر أنه قد تغير وظهر أثار من ضعف البصر، آلام الأطراف وقد ورد في القرآن الكريم منظومة من النصوص تعالج موضوع العمر عامة والشيخوخة خاصة وعبر عن مرحلة التنكيس في قوله تعالى:" يا أيها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مختلفة وغير مختلفة لتبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكن ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيء وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج"[2].

وبسبب ضعف نفسية الشعب، فإنهم يجدون من زيارة الأولياء والطواف حول الأضرحة سبيل للراحة واسترجاع ثقتهم وقوتهم، بالدعاء وطاب الشقاء والمساعدة وحل مشاكلهم، وهذه المقاطع عبارة عن أذكار تقال في مزارات هؤلاء الاولياء:

أضْرُوحَغْ أبْرِيذْ أبْرِيذْ أَذَكَغْ ذَلْقَلْعَة أذْزُرَغْ سيدي وذْرِيس سلطان لولياء	سأذهب طريق طريق وأسلك القلعة لزيارة سيدي وذريس سلطان الأولياء

1 - نفس السيدة.
2 - سورة الحج، الآية، 05.

إِقَغْرَنْ سِتِينْ حِزَبْ إِشسفْغَدْ لعلماء	قرأ ستين حزب وتخرج معه العلماء
سيدي عبد الرحمان ذمْونَسِيسْ إِمُرْسْعَرَا دريا	سيدي عبد الرحمان أبيسا له لأن ايس له الذرية
أَسْرْزَقْ رَبِي لْجَانَتْ تِينَا ذِ لْبَاقَا	سيرزق الله له اجنة هي الباقية
**********	**********
أضْرُوحَغْ ثِيزِي ثِيزِي أَذَكَغْ ذَشرْفَا	سأذهب طريق طريق وأسلب الشرفة
أذْزُرَغْ سيدي وذْرِيس أمعاون نشرفاء	لزيارة سيدي وذريس معاون الشرفاء
إِقَغْرَنْ سِتِنْ حِزَبْ إِشُفْعاغدْ لعلماء	الزيارة يوم الخميس عند ما تعمر الحضرة
زيارة أسَلخمِيس مرتَعمَرِ لْحَضْرَ	الذي مرض استنجدا باسمه للشفاعة
وِيهلكن يندە سيسميس أَلْجبرانْ أشفوعا	**********
******* ******	سأذهب طريق طريق وأسلك لالة خديجة
أضْرُوحَغْ ثِيزِي ثِيزِي أَذَكَغْ ذْلالة خديجة	الزيارة يوم الخميس الذي لديه سبع منبع ماء
أذْزُرَغْ سيدي وذْرِيس وِينْ يسْعانْ سبعة ثُلَوِن	يأتي الزوار من أجل الرقية
أدْرُحَنْ إِمْزوُيَرْ أَسَنْدخْذَمْ رُوقْيَا	عندما يكتبون فالألواح والممحاة موجودة هناك.
مَدْكَثَبَنْ قْثَلْوِيحِينْ ثَمحَيْثْ دْبِنَا إِيثلاَ[1].	

انطلاقا من هذه المقاطع نستخلص أهمية الأولياء بالنسبة للمجتمع، وصلت إلى درجة إيمانهم وممارسة من أجلهم مجموعة من الطقوس. وهذه الأذكار مصحوبة بطقوس التي تثير فيهم العزيمة لمتابعة زيارتهم، وتقوية إيمانهم بهذا المعتقد الاجتماعي والجماعي ، فترديد هذه الأشعار دليل وفائهم وإخلاصهم للأولياء الذين يرجون منهم الشفاعة والبركة.

فهؤلاء الأولياء المتمسكين والعارفين بالدين يدعون إلى التوبة، والعدول إلى الطريق المستقيم، لهاذا نجد الجميع يسمع كلامهم ويتبع طريقهم ويسبك دربهم.

1- نفس السيدة.

وفي هذه المقاطع ذكر فيها عدة رموز لها دلالتها، ولم تذكر هكذا مجازا بل وراءها حكمة ومرجعية دينية مقدسة التي توحى إلى خلق الإنسان في سبعة أطوار، وفي الحج الطواف سبع مرات في قوله سبعة ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ثم أنشأنا خلقا فتبارك الله أحسن الخالقين"[1].

وعن رزق الإنسان أي جعل رزق في سبعة: بقوله تعالى:" أنا أصببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضا وزيتون ونخلا، وحدائق غلبا وفاكهة وأبا"[2]، قوله تعالى:" الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن"[3] .وأيضا الرقم سبعة الذي نجهل حكمتها.

قي قوله تعالى :" وقال الملك، أني أرى سبع بقرات سمان يأكلهم سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات"[4].بالإضافة إلى بالجن والمس على شرف ملوك الجان، أو تجمع شعبي ينشطه فرق يتغنى بالمدائح.

ولكن مع تطور الزمن وميلاد جيل جديد الذي لا يصدق ولا يؤمن بهم، ظهر الطيش والتمرد الذي ذابت وانحرف فيه القيم والمبادئ الإسلامية وهذا يوضح ذلك.

إِيَغَضَنْ ذَتُوبَة قلْقَعَا ثْتخْنُونَسْ	يخاف النّاس منها كانت بالنسبة لهم وسخ
أو قَذَنْ مَدَنْ أَتْرَفْذَنْ ثَقْلْ إِمَدَنْ ذَمُوسْ	حولها الأخوان الذين يلبسون البرنوس
إِتِرَفْذَنْ ذْلَخْوَانْ وِيذْ يَلْسَانْ أَبَرْنُوسْ	اليوم الذي كثرت المشايخ كل بيت فيه خوان

1 - سورة المؤمن،الآية12-14.
2 - سورة عبس، اللآية 24-31.
3 - سورة الطلاق، الآية12.
4 - سورة يوسف، الآية 43.

ثُورَا فُكنْ لَخْوَانْ كُلْ اَخَامْ يَسْعَى أَطِوَيَشِي	واليوم انقض ذلك وكل بيت فيه طائش مفرد
أَقْلَغ قَلَخرْ نَزْمَانْ اقَزْمَنْ سوى رَبِي	نحن في أخر الزمن والله القادر.
بَابَاسْ إِنَكْرِيثْ امِيسْ اولاَ ذَنَعْمَة أورْ دمْغِي	الأب نكره ابنه حتى النعمة لم تنبت
إِخْلَطْ لَحْلاَلْ ذْ لَحرامْ أَوَرْ ضِحْظَرْ أُو سَعْدِي	تخلط الحلال والحرام سعيد الحض لا يحضر

هنا إشارة إلى التّوبة التي يهابها النّاس، وهي في الأرض كأنها شيء لا أهمية له والذي يتبعها فتأتي عليه بالعار، وفي القديم وعهد المشايخ في كل بيت تجد متدين والإخوان على عكس الحاضر والوقت الراهن كل بيت طائش ومنحرف، حتى أصبح الزمن موحش وغير آمن من الأرض فقدت غلتها ونعمتها، ويأتي الحلال والحرام في منزلة واحدة.

القصص الديني:

ظهر هذا النمط من الشعر الشعبي القبائلي منذ زمن بعيد، وهو نوع من الأشعار الإبداعية الرائجة في الوسط الشعبي، ويتخذ من الشخصيات الإسلامية المبجلة من قصص الأنبياء والاولياء، والصراعات العقائدية بين الكفار والمسلمين، وهذا ما يجعلنا نقول أن الشاعر القبائلي يستمد موضوعه ومادته الشعرية، من الثقافة الدينية الإسلامية الزاخرة، وبل يعمد أحيانا إلى مزجها بالخيال الفني والإبداعي ، ولعل ما يميزه عن باقي الأنماط الشعرية الأخرى، هو تمييزه بمجموعة من خصائص الفن القصصي النثري. مثل : المقدمة والمضمون التي تبنى على جمل متراصة من الأحداث التي تنمو حتى تصل إلى العقدة التي تبدأ في الانفراج، بعد بلوغ ذروة التعقد ويأتي الانفراج بشكل تدريجي حتى يصل إلى النهاية التي تمثل الخاتمة الفنية للقصيدة.

ومن بين هذه القصص الديني المشهورة في زاوية "سيدي وذريس" قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وتروي هذه القصة محنة سيدنا يوسف، التي بدأت منذ الطفولة والذي كان يتلقى

الحماية دائما من مصدر إلهي يسلكه من هذه المحن وجاءت محنته الاولى إثر الرؤيا التي،أنبأته بأنه يصطفى ملكا على العرش وهي:

"يوسف سيصبح ملكا

يقوم على خدمته ألف رجل

عندما إنتشر الخبر، أخذه إخوته إلى مبدان الصيد مهناك ألقوه في البئر:

في بئر عميقة ألقوا

الصبي ذات المعجن الشريف

عندما أرسل الله الملك جبريل لتجد ة يوسف

أرسل الله لنجدته

جبريل عليه السلام

في البئر بلغ ألم يوسف درجة قصوى ويطهر في وصف الحالة التي أصبح عليها

الأفعى تجلب الغيرة

أصبح يوسف نحيلا مثل النحلة

لكن الصبر كان ميزته واحتمل المحنة بأن احتمى إيمان

بالصبر وحده تجاوز محن الأقدار

والله أعان يوسف.

فقد يعقوب، والد يوسف البصر، وهي واقعة تبرهن على العلاقة القوية التي تربط اجتماعيا بيولوجيا الأب بابنه:

بكى سيدنا يعقوب

حتى عمي بصره.

بعد ذلك مر تجار وتوقفوا عند البئر واخرجوه:

أخرجه التاجر وكانت الطحالب تغطيه

وعيناه تفيضان دما غزيرا.

عندما خرج من البئر كان في حالة تعبر عن فضاعت المحنة التي واجهها ولا يمكن أن تقاومها قوة بشرية واحدة لولا العناية الإلهية. ما إن انتهت المحنة الأولى حتى وقع في محنة ثانية:

فقد أصبح عندما تم بيعه في السوق إلى سلطان كان يجهل منبته النبيل وكلفه بمهام مرهقة جدا:

باعه بمبلغ كبير من الريالات

وكلف بناء القصور

الملك الذي كان بجهل أمره

أيها العبد أحمل الصخور على ظهرك...!

وعندما ظن أن الكابوس قد انتهى جاء أخر يؤكد له خطأ ظنه، وأدرك سريعا أن أمله زائل، أن محنه أخرى حلت به، محنة قبلها ليحافظ على كرامته ذلك أنه لا يقبل الشروط المفروضة:

بعد هذه المحن التي استطاع تجاوزها، أدرك في الأخير الوعد الذي رآه في رأياه وأصبح ملكا:

أصبح يوسف المبارك ملكا

أما هو فأصبح وزيره .

عندما أصبح ملكا ولم ينتقم من إخوته بل مدى إليهم، بالعكس يد المساعدة ، عندما قصدوه، في عام المجاعة لشراء الخبز وإعطائهم كل شيء ، وعندما اكتشفت الحقيقة بلغت مسامع يعقوب.

فارد إليه البصر في الحال

وفي الحين أراد والده معاقبة إخوته

أما إخوتك كلهم

فسنقطع رؤوسهم بالسيف

ترك يوسف مصير هؤلاء الأشقياء لقضاء الله: لقد انتصر الصبر على المحن

وعلمناوهكذا فإن مسيرة يوسف هي مسيرة رجل متمسك بقيم، هي قيم يسعى المجتمع إلى اعتمادها كقيم مثالية يسعى إلى بلوغها، وهي تقدم نموذجا يتدرب النّاس من أجل بلوغه"[1].

1 - محند أكلي حديبي، أريس الزاوية العامرة ،ص 152-155.

كما نجد القصص القرآني مقتبسة تتحول إلى أشعار، ومن ما جاء في استلهام سورة نوح في قول محمد التهامي في قصيدة(الشاعر المظلوم من ديوان قطرات من رحيق اعمر)

أقمت للحب سوقا * شبعت فيه انتظارا

فعن يمينك قتلى * وفي الشمال الأسارى

وزرت شرقا وغربا * وخفية وجـهارا

وكم شقيت بدمع * سكبت مـدرارا

فقد اقتبست بعض الألفاظ التي وردت في السورة مثل (جهر) و(مدرار) في قوله تعالى:" أني دعوتهم جهار" [1].

وقوله أيضا:" يرسل السماء عليهم مدرارا"[2].

والتناص في قصة مريم عليها السلام ، لقول الشاعر مصطفى فراج:

بدمي أرتل سورة البكر حتى حملت بجيل

فجاء ها جمر المخاض إلى جذور المستحيل

فأتت به في الأحجار والثأر النبيل

جيل سيمسح عن عيون مدتني الليل الطويل

لقوله تعالى:" فجاء ها المخاض في جذع النخلة"[3].

1 -سورة نوح الآية 8.
2 - سورة نوح، الآية 11.
3 - سورة مريم، الآية57.

كما نجد الزهاوي الذي تأثر بشكل عميق بالقرآن الكريم واستلهم من تعاليم الإسلامية، فوظف عدت آيات وشواهد الإقناع ولجأ إلى التناص بشتى أنواعه .

- التناص مع الفاصلة القرآنية وقصة نوح عليه السلام في قصيدة "طاغية بغداد"

يستلهم الزهاوي من الأسلوب القرآني في قصيدته هذه كما سنرى أفضل المفاهيم باستخدام الفاصلة القرآنية وبأفضل صورة ومن الضروري الإشارة إلى ملاحظات حول الفاصلة القرآنية وأهميتها في ظاهرة التناص.

الفاصلة القرآنية:

الإيقاع الموسيقي من أبرز صور التناسق الفني في القرآن الكريم، ويتميز بأنه "متعدد الأنواع مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان"

وعرفها الرماني" حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني" الرماني و 1968م 69 والفاصلة القرآنية كما يقول السيوطي في كتابه علوم القرآن:" كقافية الشعر وقرينة السجع، غير أنها تزيد عليها بشحنة المعنى، ووفرة النغم والسعة في الحركة الحرة(السيوطي 1951: 266).

وهذه القصيدة "طاغية بغداد" يصف فيها الشاعر الوضع المتدهور في المجتمع العراقي ويقارنه مع قوم نوح عليه السلام، فيعود أولا ويفضح المنافقين في بغداد ممن سولت له نفسه في خدمة الطاغين قائلا:

ربّ إن المنافقين ببغداد /د كثير وقد أتوا أضرارا/ ربّ إني نصحتهم أن يتوبوا / ثم إني /أنذرتهم إنذارا/. ويستمر بالقول: ظلّ قومي فلم يزدهم دعائي/ ربّ إلا بعدا وإلا فرار/ ربّ

إني دعوتهم فتمادوا / وأصروا واستكبروا استكبارا / ثم إني أتيت جهرا دعائي / ثم إني أسررته إسرارا/ قلت يا قوم استغفروا الله تنجوا / إنه كان رحيما غفارا/ إنه يرسل السماء عليكم مثلما تبتغونها مدرارا/ إنه الله وحده خلق الناس من الأرض تحتهم اطوارا/ فعصوني يا رب واتبعوا من/ لا يزيد الانام إلا خسارا/ مكر القوم بي وأنت حفيظي/ ربّ مكرا من بغيهم كبارا/ إن قومي قد أفسدوا لا تذر/ ربّ على الأرض منهم ديارا/ إن تذرهم يا ربّ في غيهم لا يلدوا إلا فاجرا كفارا/ إنهم من ظلالهم في تبار / لا تزدهم يا ربّ إلا تبارا/... الديوان 2004م: 65-66).

وكل هذا تقريبا تناص مع الآيات القرآنية من سورة نوح عليه السلام بأكملها:

' إنّا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم، قال يا قوم إني لكم نذير مبين، وأن أعبدوا الله وتفوه وأطيعوني...قال ربّا إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائي إلا فرارا، وإني كما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشموا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، ثم إني دعوتهم جهرا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارا، فقلت استغفروا ربكم أنه كان غفور، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين يجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا، مالكم لا ترجعون له وقارا، وقد خلقكم أطوارا... قال نوح ربّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا، ومكرا ، وقالوا لا تذرن ألهتكم ولا تذرن وُداً ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق نسرا ،وقد اظلموا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ظلال.... وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، عنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجر كفارا."[1]

1 -سورة نوح، الآية 28

من حق الشاعر أن يخاطب شعبه بهذه الصورة باعتباره كرسول للأمة، بالتبرك والهلاك! ويخبر الله عزّ وجلّ بان كلا منهم على هذه الحالة سيلدد فاجرا وكفارا![1] .

ونلاحظهما اقتباس كلمات لوضعها في النصوص الشعرية، باعتبار القرآن أجمل وأثمن مصدر.

- وكخلاصة القول، فإن هذا الشعر الذي في مجمله من مديح وذكر وقص. يتميز لخصالة يحض بمكانة عظيمة في الوسط الشعبي عند غيره من الأنواع الشعرية المعروفة ، حيث يلعب الدور التعليمي التربوي في المجتمع وتطهير النفوس من شرور أعمالها، وتشبعها بالقيم الإسلامية ، وتنهي فيه روح حب الخير. وهي تتناول مواضيع متعلقة بالحياة الدينية والروحية للمجتمع القبائلي ، ظهر فيها القيم والمبادئ العقائدية والاخلاقية، التي تتصل اتصالا وثيقا بالممارسات الحياتية اليومية، والممارسات المقدسة المتعلقة بالحياة الدينية لأفراد المجتمع القبائلي.

1 -علي أكبر حسين ، عبد الصاحب طهماسبي..، مجلة اللّغة العربية وآدابها، السنة التاسعة العدد الرابع، ... 1435، ص 186.

خاتمـة

يتبين لنا بعد الجمع و الدراسة والتحليل الذي تطرقنا إليه من خلال رحلتنا هذه حول الأولياء الصالحين و الطقوس الممارسة أثناء زيارة أضرحتهم، أن الزوايا وما يصاحبها من طقوس تمارس فيها ذات دور كبير في المجتمع القبائلي خاصة والجزائري عامة .فهي كنوز شعبية ثمينة لا تزال تتنفس في ذاكرة بعض الرواة ،منتظرة من يحاول جمعها و استنطاقها لتبوح بأسرارها العجيبة الغريبة ،فقد كانت هذه الأماكن المدرسة والمؤسسة لطالب العلم،والمأوى للمحتاجين ،والملجئ للباحث عن الراحة النفسية ،و كانت هذه الطقوس القولية والحركية المنفس و الطريقة المثلى للفصح على المكبوتات ،فهي تزيل الهموم وتعيد للفرد توازنه وثقته بنفسه، فهي ذات أبعاد نفسية واجتماعية رغم أننا في الوهلة الأولى لا نرى فيها إلا نوعا من السذاجة الشعبية ،لكنها في الحقيقة تمثل جزء مهم من الإرث الشعبي الذي يمثل ثقافة وصورة القبائلي ،والتي كان لها شهرة كبيرة .وعموما يمكن تلخيص أهم النتائج التي أفضى إليها البحث في النقاط التالية:

. على الرغم من الماضي البعيد الذي ظهرت فيه الطقوس إلا انها لا تزال تمارس الى يومنا هذا .

. رغم أن هناك العديد من الطقوس التي اندثرت وذابت إلا أن الطقوس الممارسة في مزارات الأولياء استطاعت مقاومة إغراء التمدن ،والوقوف في وجه زوبعة العصر حيث استطاعت أن تثبت نفسها وتضل تمارس إلى حد اليوم . إن بعض الطقوس قد تسربت وذابت في الحكايات الخرافية والأسطورية العجيبة وهي في الطريق الاندثار. إن لم تسرع إليها النفس الغيورة على مأثور وطنها لجمعها والحفاظ عليها من عواصف العولمة ونوائب الزمن وموجات العصرنة .

. إن معظم الأشعار والطقوس تهدف إلى إعادة التوازن الداخلي الإنسان و تقوية الروابط الاجتماعية .

. تحتوي الشعائر القولية على مضامين دينية بالدرجة الاولى، واجتماعية بدرجة الثانية .

. إن الشاعر الأمازيغي استلهم تجربته الفنية من وحي الفطرة ومعهد الطبيعة لتصل إلينا في أبها حلته.

. تعد النساء أكثر ممارسة لهذا النوع من الطقوس وأكثرهن إيمانا بنجاعتها.

. هناك الكثير من الجماهير الشعبية اليوم تؤمن بالطقوس ،مما يجعلها أكثر ممارسة . تعتبر هذه الطقوس و الأساطير بمثابة لغة ضمنية تحمل رسائل بالغة ورموز كثيرة،تنتظر من ينفض الغبار عليها.

ملاحق

نبذة عن سيدي اوذريس:

ينحدر الشيخ بن إدريس أو أبو العباس أحمد بن إدريس من الأسرة الإدريسية المشهورة في بلاد المغرب الإسلامي ويعد من مشاهير علماء القرن الثامن هجري "الرابع عشر ميلادي درس في مسقط رأسه بضواحي بجاية ،ثم أنتقل إلى حواضر العلم فتتلمذ على يد علماء أفذاذ ليأخذ العلم من شيوخ كبار في الأزهر الشريف وينبع في مختلف العلوم الشرعية والدينية ،وأصبح أحد الفرسان المعقول والمنقول ،وعاد من رحلته العلمية إلى مدينة بجاية أين إشتهر بتدريس والإفتاء والقضاء.فكان مدرسة قائمة بذاتها حيث تخرج على يده علماء سطعوا كالنجوم ،فقد"تضلع في العلوم والمعارف الإسلامية خاصة الفقه ،وتصدى لتدريس والإفتاء في بجاية درس عليه عبد الرحمان بن خلدون وأبوه يحي ،وعبد الرحمن الوغليسي، ألف عدة رسائل في أغراض شتى ونقل عنه أبن زاغوا تلمساني ومحمد شاذلي ويحي أرحموني ،وابن كوفة تونسي ،وإبن سلامة البسكري.ودرس عليه عالم وهران ووليتها محمد بن عمر الهوا ري كذلك"[1] .

لتضطره الظروف إلى الانتقال نحو الريف الأيلولي بعيدا عن مدينة بجاية ،وقد رويت في سبب انتقاله عدة روايات مختلفة منها الرواية التي رواها لنا شيخ الزاوية حيث قال"بعدما عان أحمد بن إدريس من مشاكل مع السلطان الحاكم آنذاك "بني حفص"واشتدت مشاكله وضغوطاته بعد إجباره على الإفتاء بما يخدم مصالحه ،انتقل من بجاية هاربا من بطشه واستبداده.ليتوقف بعدة محطات قبل أن يستقر بأيلولة ومن بينها :"ابانو" باث يمال ،ثم اث وغليس ،ثم ايمغداسن ،ليحط رحاله نهائيا بقرية "اث علي او محند"بلدية إيلولة أومالو تحت مشارف ربوة شلاطة .حيث طلب الحماية منهم فأجاره واستقر هناك،وأسس فيها الزاوية المشهورة باسمه "زاوية سيدي وذريس".والتي أضحت مدرسة تشع بالعلم والمعرفة.ويعتبر

[1] - يحي بوعزيز ،اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ص 292.

أحمد بن إدريس أحد الرواد التصوف في الجزائر والمغرب الاسلامي ،كما تميز بأخلاق سامية جعلته يحض بمكانة اجتماعية مرموقة تجاوزت حدود المنطقة .

توفي سيدي اوذريس في 760 هجري الموافق ل 1359 م،ليترك ورائه اثار مادية منها كتب في التصوف والفتاوى في الميراث والبيوع وغيرها .و التي اندثرت كلها بفعل عوامل الانسان.[2]

هذه إحدى روايات سيدي اوذريس و سبب انتقاله إلى أيلولة .وهناك رواية أخرى تقول "أنه عندما جاء وذريس إلى المنطقة كان لا يزال شابا ،استقر في زاوية سيد أحمد أومالك حيث درس .وعندما كون الشيخ صورة إيجابية عن تلميذه الذي برهن على مزايا رفيعة،خاصة بفضل حرصه على دروسه واستقامته . امر الطلبة ان يأتيه كل واحد منهم بعصا معوجة .فنفذوا أمر شيخ كلهم ماعدا وذريس فقد جاء فارغ اليدين وأجاب الشيخ بالطريقة التالية :في كل مكان ذهبت اليه لم اجد إلا عصا مستقيمة ،لم أجد عصا معوجة.بعد تفكير الشيخ ثمن الحكمة في جواب الطالب ومنحه ناقة وسمح له بمغادرة الزاوية،و الذهاب وتصحبه بركة الله ،وبعدها ستسمع كل الصلوات وذريس ويستجاب لها.

مشى وذريس حتى المكان المسمى "ايغزر تلغومت " والذي يحمل اسم الناقة ، المكان الذي تمددت فيه .ثم عادت وسارت حتى قرية "اث لحسن" حيث تمددت للمرة الثانية ،ثم غادرت المكان وقررت أخيرا. أن تستقر في أعالي قرية "أث علي او محند" وعندها قرر وذريس أن يستقر في ذلك المكان .ووضع أول حجرة في قبة ثم بنى زاوية سيدي وذريس واستقر فيه حتى وفاته،ولم يتزوج وذريس أبدا بفعل تجربة عاشها مع قطته، حيث لم يسبق لهذه القطة أن سرقت فكانت تقنع دائما بالحصة التي تحصل عليها وفي يوم من الأيام سرقت الأكل فتعجب وذريس من تصرف القطة .وقرر أن يكتشف السبب فتعقب القطة فوجدها تسرق

[2] - رواية الشيخ الزاوية.

من أجل أولدها .وعندها أستخلص الولي درسا من هذه التجربة فرفض الزواج ليتجنب كل أغراء .وضل يربي القطط لهذا نجد الزاوية حتى الان مملوءة بالقطط .3

أما الرواية التي نقلها بوليفة والتي عرفت في قرية "اث علي أمحند "فإنها تأكد مجيء هذا الولي بعد أحمد أومالك حيث أستقبله وكونه منذ الصغر .إلى أن سمح له بمغادرة الزاوية مصحوبا ببركة الله ،والتي رفعت إلى مقام الولاية الأن كل صلواته ستسمع ويستجاب لها .ليستقر ويؤسس زاويته المشهورة .ليأتي سي عبد الرحمان إلى المنطقة بعد سيدي وذريس والذي احتاج إلى الحصول على رخصة ليستقر إلى جانبه ولم يستقر فيها إلا بعد أن سمح له بذلك الولي وذريس .حيث طلب أن يؤسس زاويته الخاصة " [3] لكنه رفض تقديرا واحتراما له .فأجابه وذريس "نكي ذصبح كشي ذثري نصبح" ويقابلها بالعربية أنا الصبح وأنت نجم الصبح.وهكذا يتبين وجود علاقة استمرارية تثبت علاقة التعايش بين الاولياء الثلاثة.

المقطع 01: **يقابله بالعربية:**

[3] - المرجع نفسه ،ص 102،103.

"أضروحغ أكجغ أيخامِيو أقسعان أربعة ثجقا سأرحل وأترك بيتي الذي له أربعة أعمدة

اضروحغ اذجغ لملكو اقسعان اربعة ثرقوا سأرحل وأترك أملاكي ذات اربعة أحواض

قيمث أثروا بسلامة لموث ذ لواجب فلوما"[4] بسلامة يا أولادي الموت واجب على الامة

المقطع 02: **يقابلها بالعربية:**

"يما ثعزيزث ايما اث ويلو ضموضين يا أمي العزيزة قلبي مريض

هلكغ لهلاك اورحليغ ايوثغ ثسقناثين مرضت ولم اشفى يما اخذت من الحقن

شفاين سيدي وذريس دواس حد اورثيسين "[5] شفائي سيدي وذريس دوائه لا أحد يعرفه.

المقطع 03: **يقابله بالعربية:**

"أذصليغ فلاك ألوالي ويسمن وذريس أصلي على الولي الذي سمي وذريس

أدرنوغ لوليا ويذ أقنسان أوقريس وأضيف الاولياء الذين باتوا للبرد

سبرد ثشطيطك فيغربن ويذ أقلن قسربيس "[6] احمي ببرنوسك الغرباء في الخدمة.

المقطع04: **يقابله بالعربية:**

"اتايا يتنوز الكتان أتنوز سلمترا هاهو القماش يباع .يباع بالمتر

اورسعي الحواشي اسعلنرا أزرورا ليس له حواشي وغير مزين

اثيلس وول اريبغي قمث أثروا بسلامة"[7] يلبس من دون رغبة بسلامة يا أولادي.

المقطع05: **يقابله بالعربية:**

"أتيا الموث أتيا ثوضد أرومس أتت الموت وصلت الى الظهر

أيد فكان تملالن كل اربح بدغ فلاس أعط لي البيض وكل ربح رأيته

[4] السيدة ايت خداش من أملو.
[5] عجوز من أقبو
[6] سيدة علجية في أشلاطن
[7] السيدة زاهية من أملو

قمث أثرو بسلامة صورة اثعود صيفس"[8] أبقوا يا أولادي بسلامة الصورة الوجه تغيرت

المقطع 06: **يقابلها بالعربية:**

"اوبدن قلساس ذلخاين نغ ذعساس ليت من يقف على الاساس خائن او حارس

اديزور سيدي وذريس بوثطبيقن أوغيلاس لزيارة سيدي وذريس النمر

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

"أو وثن وجهاين أم يثبير فيخامن ليت من يقف على جهتين مثل الحمام على البيوت

أديزور سيدي وذريس أعسن أقاوون "[9] لزيارة سيدي وذريس حارس ايقاوون

مقطع 07: **يقابلها بالعربية:**

ا"بدغ قثيزيسولغ أرند أوال قوذريس وقفت في القمة واستنجدت أجابوا في وذريس

أسيدي عبد الرحمان وذريس ذورويس سيدي عبد الرحمان وذريس وأولاده

انفي لعبذ أذيسروث ربي أخدمه شغلس أترك العبد يفعل ما يشاء فالله يفعل ما يشاء.

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

بدغ قثيزي سولغ اراند أوال قثوجهان وقفت على القمة واستنجدت أجابوا في وذريس

ادنزور سيدي وذريس باب لبرهان يقوان لزيارة سيدي وذريس ذو البرهان القوي

أغاس أومغبون أفوس سرحاس أيبردان"[10] أمسك يد المسكين وبين له الطريق.

المقطع 08:

"هلكغ لهلاك ذمنشوف ارنيد الخوف عواز فلي ذمزقي

لبعض افكايس أدحوح لمكلاينس ذلخوخ ثيغميثس فوكرسي

---

[8] السيدة ضاوية من أيلولة.

[9] السيدة الزوهرة من بني معوش.

[10] السيدة مربوحة من أث لحسن.

نك أضحيغ امشلوح شدهغ لفوروح مرحبا أسيدي أربي"[11]

يقابلها بالعربية:

مرضت مرض خطير وزاد لي الخوف والسهر طول اليل

البعض يتمتع بالروائح وأكله الخوخ وجلوسه على الكرسي

أنا أصبحت متشرد اشتقت للفرح مرحبا يا ربي.

المقطع 09: **يقابلها بالعربية:**

"يما ثعزيزث ايما قمغ قر أبردان — أمي يا أمي جلست وسط الطرق

تمذيم ثروح ضكرفي تعدان فلي وسان — هكذا تمر الايام المساء فات

أورزهيغ أورربحغ مدن أك زهان — لم أفرح ولم أربح الناس كلهم فرحين

نك تسي أتسغارث أيدفكا قسام — أنا هذا هو النصيب الذي أعطاه لي القاسم

ربي أرفد أسروسو أذقل أغدسقم أوسان "[12] — سوف يأتي يوم تضحك الايام لنا

المقطع10: **يقابلها بالعربية**

"أويدن ديبحرين ذوذريس أعوسن تيزي تيزي — يا من يذهب مع البحارة و وذريس حارس

أذيعدي فلخوان مرسنفك أمنسي — يمر على لخوان ويعطيهم العشاء

أنبغا ذ لبركا كول الولي أديزي — نريد البركة كل الاولياء لما يدورون حولنا

أنرنو أزرو نطهورسيدي عبد الرحمان ذنيقي — وحجر الطهور وسيدي عبد الرحمان شاهد

~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~ ~

أودن ذبحرين أديزور كل الولي — يا ليت من يذهب ليزور كل الاولياء

أدرنو كل السدات سيدي ودريس ذباضني — وكل السدات و وذريس الخفي

أنبغا ذ دعوى لخير أومغبون مايغلي"[13] — نريد دعوة الخير للمسكين اذا سقط.

---

[11] السيدةحسينة من أمالو.

[12] السيدة تعاليط من بني معوش.

[13] ـ السيدة باية من تيزيوزو.

قائمـــــة

المصادر والمراجع

I -قائمة المصادر:

. القرآن الكريم.

. الحديث النبوي الشريف.

. شاكر سليم ،قاموس الأنثروبولوجيا،إنجليزي . عربي ، ط 1 ،جامعة الكويت ،1981.

قائمة الرواة:

. شيخ زاوية سيدي وذريس.

. السيدة أيت خداش من أمالو.

. السيدة باية من تيزي وزو.

. السيدة تعليط من بني معوش.

. السيدة حسينة من قرية تيمسريرين . أمالو.

. السيدة زاهية من أمالو .

. السيدة زوهرة من بني معوش.

. السيدة ضاوية من أمالو.

. السيدة مربوحة من أث لحسن.

. السيدة من أقبو.

-II قائمة المراجع بالغة العربية :

. الباشي حسن

ومحمد توفيق السهيل ،المعتقدات الشعبية في التراث الغربي ،دار الجليل، القاهرة.

. الجيلالي عبد الرحمان ،تاريخ الجزائر العام ،ج 1 ،الجزائر ،1982.

. الراسي جورج ،الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر،د ط ، دار القصبة الجزائر ،2007.

. الزيعور علي ،الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربية ،ط 2 ،دار الأندلس ،بيروت لبنان ، 1984.

. الصنعاني محمد بن إسماعيل ، الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من كرامات والألطاف د ط .

. العقل ناصر عبد الكريم ،التوسل والأولياء الصالحين ،د ط ، دار إبن حزيمة ،الرياض .

بوحبيب حميد ، مدخل إلى الأدب الشعبي ،مقاربة أنثربلوجية ،الناشر أحمد ماضي ،دار الحكمة ،الجزائر ،2009.

. بوحبيب حميد ،الغجري الأخير ،دراسة نقدية تحليلية لشعر سي محند اومحند،د ط ، دار الحكمة الجزائر ،2007.

. بلبق عزالدين ،مناهج الصالحين ،دار الفتح ،ط 3، بيروت ،1982.

. بورايو عبد الحميد ، القصص الشعبي في منطقة بسكرة،دراسة ميدانية،وزارة الثقافة ،دط،الجزائر ،2007.

. بورايو عبد الحميد ،الأدب الشعبي ،دراسة أشكال الاداء في الفنون الشعبية في الجزائر ،د ط ،دار القصبة ،2007.

. بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج 1 ،ط 1، دار المغرب الاسلامي بيروت ،1991 .

. بوزيدة عبد الرحمان ،الجزائري وأسطورته المخيال الاجتماعي وآليات التماهي ،المركز الوطني للبحوث في التاريخ في علم الانسان والتاريخ ،الجزائر،2003.

. جعفر عبد الوهاب ،البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها دار المعارف ،1980.

. دباغ محمد ، دراسات في التراث،دار المغرب ،د ط، الجزائر ،2007.

. سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي 1830.1500 ، ج 1 ، دار البصائر،2007.

. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1954.1830 ،ج 3 ،دار البصائر ،2007.

. شلحت يوسف ،نحو تجربة جديدة في علم الاجتماع الديني ،ط1 ،دار الفارابي ، بيروت 2003.

. عمورة عمار ،موجز في تاريخ الجزائر ،ط 1 ،دار الريحانة ،الجزائر ،2003.

. فراد محمد أرزقي ،إطلالة على منطقة القبائل ،د ط ،دار الامل، الجزائر، 2007 .

فهيم حسين ، قصة الانثروبولوجيا ، فصول في التاريخ علم الانسان، علم المعرفة ،سلسلة كتب ثقافة الشهرية ، المجلس الوطني للفنون والأدب ، الكويت ،يناير 1978.

. وجدي محمد فريد ،الاسلام في عصر العلم ،ط 3 ،دار الكتاب العربي بيروت ،1967.

. وصفي عاطف ، الأنثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الاسلامية بمدينة ديبورونالأمريكية،دار النهضة العربية ،بيروت ،1981.

III- المراجع المترجمة:

. بوشامة كمال ،الجزائر أرض عقيدة والثقافة ،تر محمد المغاربي،د ط، دار هومه ، الجزائر 2007.

. حديبي محمد أكلي ، مقاربة سوسيو أنثروبولوجيا لمكان المقدس في منطقة القبائل وذريس الزاوية العامرة ،تر عبد القادر بوزيدة ،الزرياب ، الجزائر ،2007.

V I- المراجع بالغة الفرنسية:

Edmond douté, l'islam algérien **en l'n 1900 ,traduit par Mustaphagirâlt ,bibliothèque nationale de France 1900.**

- houari Touati ,entre diètes les hommes, éditions de l'école des hamites études en séance sociales, paris, 1994.

- jean maisannervec ,les rituelles 1er édition ,universitaires de France , paris ,France ,1988.

- ZakariarHani , le Cherif et la possédé saints, édition de l'hashi homme ,2009.

V -الرسائل الجامعية:

. العرافي يوسف ، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان ،دراسة أثنوغرافيا ،مذكرة نيل شهادة الماجستير ،جامعة مولود معمري تيزي وزو2012/2011.

. بن مهدي رشيدة ، الفقيرات بمنطقة أولاد رياح ، دراسة تاريخية و فنية ،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الموسيقى الجزائرية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2012/2011.

. بوحبيب حميد ،الاشكال الشعرية والبنيات الاجتماعية ،مقاربة انثروبولوجيا ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في الادب العربي ،جامعة الجزائر ،2012/2011.

. بيطار هادي أحمد جميل ،الشعر المديح النبوي تطوره وخصائصه ،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير،2005/2004 .

. خليفة زكية ، الأشعار والطقوس الجنائزية بمنطقة واقنون ،مقاربة أنثروبولوجيا وظيفية مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة مولود معمري تيزي وزو ،2012/2011. .

شتاتحة أم الخير ،زيارة الأضرحة وأثرها في أعادة تشكل الوعي الجمعي ،دراسة ميدانية

لضريح سيد عطاء الله ببلدية تاجمونت ،ولاية الأغواط ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ،2011/2010.

. محمد سي يوسف ،مقاومة الإحتلال الفرنسي 1850 . 1854 ،لمنطقة القبائل "ثورة شريف بوبغلة ،مذكرة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العميقة ،قسم التاريخ.

. مستاري حياة ،قصص الاولياء في الاوراس ،منطقة كميل ،مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في الادب الحديث ،جامعة الحاج لخضر ،باتنة 2007/2006.

VI -المجلات و الدوريات:

. حسن أحمد أمين ،تأملات في حقيقة الأولياء الله الصالحين ،مجلة العربي عدد 226،رمضان 1397 هـ.

. محسني علي أكبر و عبد الصاحب الطهماسبي ،مجلة اللغة العربية وأدابها ،السنة التاسعة ، العدد الرابع ،الشتاء 1434 هـ ،ص 167 .

VII– البيوغرافيا: .

الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطانwww.wisisourcce.org

. الأولياء والكراماتwww.almasiha.netdude1415.

. الزوايا و الطرقية في بلاد الصالحين والأولياء.

http://www.insanyat.revies.org/08:43.2015/03/01 .

. إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ، الوعدة التمثل والممارسة ،دراسة أنثروبولوجيا بمنطقة أولاد نهار.www.insanyat.revies.org .

. حاجي خليفة ،كشف الظنون ،ج1، نقلا عن عبد القادر عيسى حقائق عن التصوف،موقع الشاذلية الدرقاوية..http://www.shazlya.com

. طقوس وجبروت الرمز http://www.insanyt.lvaies.org

. مروان بركة

http:www.subyerblus .com. /arabica 2006 /01/26.siams

فهـرس

الموضوع **الصفحة**

الإهداء.....

مقدمة.....أ

مدخل.....5

الفصل الاول:الطقوس وعلاقتها بالأولياء.....24

المبحث الاول:الزوايا وأبعادها.....24

ـ في تعريف الزوايا وخلفيتها التاريخية.....24

ـ أنواع الزوايا.....28

ـ الموارد الاقتصاديةللزوايا.....31

ـ مكانة ودور الزوايا.....32

المبحث الثاني :الأولياء وكراماتهم بين الحقيقة والأسطورة.....40

ـ في تعريف الأولياء 40

ـ صفات الأولياء.....43

ـ أقسام الأولياء.....44

ـ كرامات الأولياء بين الحقيقة والأسطورة.....46

المبحث الثالث :أبعاد الطقوس والشعائر الممارسة في مزارات الأولياء.....55

ـ تعريف الطقوس.....55

ـ الطقوس الممارسة في الأضرحة والمزارات.....57

ـ الطقوس الممارسة في زاوية سيدي وذريس.....61

ـ الأبعاد النفسية والاجتماعيةللطقوس الممارسة في مزارات الاولياء 66

الفصل الثاني :دراسة فنية لبعض الاشعار الممارسة في زاوية سيدي وذريس .

المديح النبوي.....73

- الذكر الديني 91
- القصص الديني.....98
الخاتمة.....107
الملاحق.....
- الملحق الاول.....110
- الملحق الثاني.....113
قائمة المصادر والمراجع.....117
فهرس الموضوعات.....124